موسوعة العقيدة والأديان

علاء الخضري

4

نقض دعوى عالمية النصرانية

د. فرج الله عبد الباري
أستاذ العقيدة والأديان



نقض دعوى
عالمية النصرانية

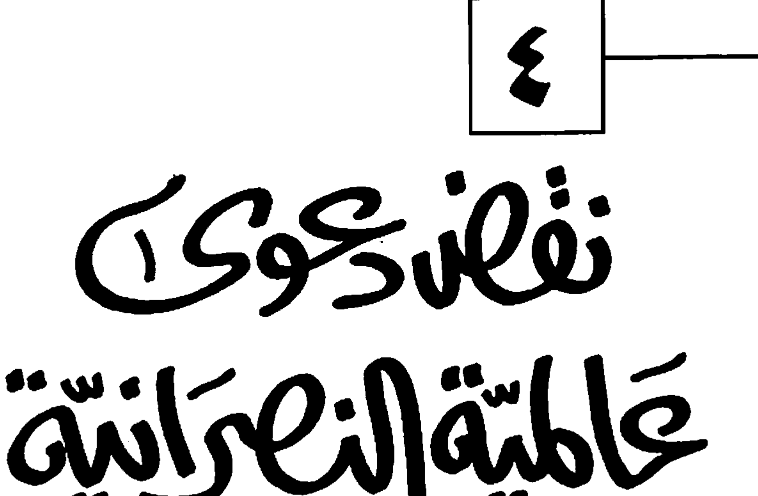
هذا الكتاب يتناول خصوصية رسالة سيدنا عيسى عليه السلام لبنى إسرائل من خلال نصوص الأناجيل الحالية، ويتحدث عن مدى التزام تلاميذ المسيح بخصوصية رسالته لبنى إسرائيل وكيف أنهم رفضوا تماما الخروج بدائرة الدعوة إلى غير اليهود بل واستنكروا على من فعل ذلك. ويوضح الكتاب أن بولس هو الذى حول ديانة المسيح من ديانة خاصة لبنى إسرائيل إلى ديانة عامة، وفى سبيل ذلك حاول (بولس) استرضاء الوثنيين - بمنع الختان بل واخترع لهم صلب المسيح وتأليهه حتى يتمشى ذلك مع العادات الوثنية الموروثة لديهم.

والكتاب يناقش بعمق وموضوعية نصوص الأناجيل الداعية إلى عالمية المسيحية منتهيا إلى أن تلك النصوص أضيفت للأناجيل فى زمن متأخر عن زمن كتابة الأناجيل.

ويعرض الكتاب بأسلوب علمى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وعموم بعثته - ثم عرض الكتاب للشبه التى أثارها البعض قديما وحديثا - حول عموم رسالته ﷺ عرض تلك الشبه ونقضها بالنقل والعقل - حتى تصبح الحقيقة واضحة بدون لبس أو غموض...

I.S.B.N. 977 - 344 - 089 - 3

موسوعة العقيدة والأديان



د. فرج الله عبد الباري
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشر - توزيع - طباعة
٥٥ - ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٢٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
E-mail : daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : نقض دعوى عالمية النصرانية (١)
اسم المؤلف : د. فرج الله عبد الباري

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١١٥٢٩
الترقيم الدولى : 3 - 089 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م



بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد بن عبد الله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فهذا بحث عن نقض دعوى عالمية النصرانية وإثبات عموم البعثة المحمدية، أدافع من خلاله عن ملتى، وأمتى. خاصة فى هذا الوقت الذى تداعت فيه الأمم على أمة الإسلام كما تداعى الأكلة على قصعتها. ولأسهم فى بناء لبنة فى الدفاع عن صرح العقيدة الإسلامية. فى وجه المخاطر المحلية والعالمية - التى تريد هدمها وزعزعتها فى نفوس المسلمين.

وغير خاف على المشتغلين بالفكر الإسلامى عامة وعلوم العقيدة خاصة ما يكيده أعداء الإسلام- لديننا الحنيف من التشكيك فى الوحى والنبوة.

وهؤلاء الأعداء قد نبأنا الله من أخبارهم وحذرنا من مكرهم، وشرورهم.

يقول تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] .

ويقول سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :١٠٩] .

وقد جادل المسلمون أهلَ الكتاب فى مسائل عديدة كان من بينها إنكار أهل الكتاب لعموم رسالة الإسلام التى جاء بها محمد ﷺ وقد استدل النصارى بآيات من القرآن الكريم حرفوها عن مواضعها ليستشهدوا بها زورا وبهتانا على أن دعوة الإسلام لا تلزمهم، ولا تشملهم؛ لأن القرآن نزل بلسان عربى ولأن محمدًا ﷺ لم يتكلم بألسنتهم.

أثار هذا قدماء النصارى وجادلوا بهذه الأباطيل علماء الإسلام كالقرافى، وابن تيمية، والخزرجى. . . وتبنى بعض النصارى هذه الشبه وأثاروها مرة أخرى فى العصر الحديث. . .، وبينما هم يثيرون الشُّبه بالنسبة للإسلام تراهم يعملون فى غير كلل ولا ملل لنشر النصرانية فى أرجاء العالم على اعتبار أنها الديانة العالمية، وهى الدعوة التى يجب أن توجه إلى جميع أفراد الجنس البشرى كما يزعمون.

ولما وجدت دعوتهم إلى عالمية النصرانية وشبهاتهم حول خصوصية رسالة محمد ﷺ إلى العرب خاصة. وإنكار الكثير منهم نبوة محمد ﷺ. أردت أن أدرس هذ الموضوع دراسة علمية أحق بها الحق، وأزهق الباطل بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة. وآمل أن أسد ثغرة من الثغرات التي ينفذ منها أعداء الإسلام إلى العقيدة الإسلامية.

وقد جاءت هذه الدراسة على النحو التالى:

المدخل: تحدثت فيه عن التعميم والتخصيص فى الرسالات السماوية مستعرضا خطاب الله عز وجل للأنبياء مبرزا دعوة كل نبى لقومه خاصة

موسى و عيسى عليهما أفضل الصلاة والسلام مشيرًا فى هذا المدخل إلى ما اختص الله به محمدًا ﷺ دون سائر الأنبياء بإرساله إلى الناس كافة بالإضافة إلى ما اختص به من الفضائل الأخرى.

وبينت أن هذا راجع إلى فضل الله وعلمه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وأشرت إلى أن إرسال كل نبى إلى قومه لا يقلل من شأنه ولكن لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

الفصل الأول: جاء بعنوان الديانة النصرانية بين اختصاصها لبنى إسرائيل وزعم عمومها لجميع الأمم، واشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: خصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل من خلال بعض نصوص الأناجيل الحالية التى تتحدث عن خصوصية دعوة عيسى لبنى إسرائيل. وكيف أن المسيح عليه السلام لم يخرج عن دائرة اليهود من ناحية المكان بل على العكس كان يرفض دائمًا أن يتعامل مع غير اليهود فى الدعوة واستشهدت بما ورد فى إنجيل متى[1] عن المرأة الكنعانية التى طلبت من المسيح أن يشفى ابنتها وقد رفض ذلك معللا بأنه ما أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة حسب رواية إنجيل متى.

المبحث الثانى: تحدثت فيه عن مدى التزام تلاميذ المسيح بخصوصية رسالته لبنى إسرائيل، وكيف أنهم رفضوا تماما الخروج بدائرة الدعوة إلى غير اليهود بل واستنكروا على من فعل ذلك منهم... لأنهم كانوا يتبعون تعاليم المسيح التى توصيهم أن تكون دعوتهم لليهود فقط.

المبحث الثالث: بولس وعالمية النصرانية- ووصفت ذلك ببداية

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٥/ ٢٢/ ٢٤.

الانحراف - إذ أن بولس بعد أن ادعى أن المسيح ظهر له على طريق دمشق وأمره أن يبشر بالمسيحية لجميع الأمم. كانت تلك البداية لتغيير دين عيسى عليه السلام كلية. ومن ثم توقفت كثيرًا عند تلك الروايات ونقدها حتى أثبت أن ما يترتب عليها من أفكار فيما بعد باطل نظرا لبطلان الأصل الذى استندت عليه هذه الأفكار.

ثم تساءلت كيف استطاع بولس أن يدعو غير اليهود إلى دعوته؟ واعتبرت أن هذا هو بداية دخول الوثنية إلى النصرانية.

ذلكم أن بولس حاول استرضاء من يدعوهم على حساب النصرانية بمعنى أنه أبقى على العادات الوثنية الموجودة عند غير اليهود من اليونانيين وغيرهم.

ليس هذا فحسب وإنما زعم لهم أن ما هم عليه هو ما يطلبه المسيح- وقد ضربت أمثلة متعددة على ذلك منها أنه أحل لهم الختان، واخترع لهم صلب وتأليه المسيح حتى يتمشى ذلك مع معتقداتهم الوثنية الموروثة لديهم - ليضمن دخولهم فى الدين الجديد الذى جاء به.

المبحث الرابع: مناقشة النصوص الداعية لعالمية النصرانية ونقضها.

ناقشت فيه نصوص الأناجيل الداعية إلى عالمية- النصرانية- مستعينًا بما فهمه العلماء من المسلمين والنصارى الغربيين الذين أثبتوا أن هذه النصوص على قلتها قد أضيفت للأناجيل فى زمن متأخر عن زمن كتابة الأناجيل، وأثبت أن كُتَّابَ الأناجيل قد تأثروا بأفكار بولس المبدلة، والمغيرة لدين عيسى عليه السلام. . . وأن الدين الحق الذى جاء به عيسى عليه السلام، قد بُدِّل وغيِّر لصالح بولس والوثنية- ونظرا لهذا

التغيير والتبديل كان لابد من الدين الذى يعيد الأمور إلى نصابها ويصحح ما عليه النصارى من عقائد باطلة- وقد تمثل هذا الدين فى الإسلام. الرسالة الخاتمة والذى اختاره الله للناس كافة وختمت بذلك الفصل الأول من البحث.

الفصل الثانى: إثبات نبوة محمد ﷺ وعموم بعثته.

المبحث الأول: إثبات النبوة ودلائلها، تحدثت فيه عن دلائل النبوة- متمثلة فى أخلاقه ﷺ وكيف آمن السابقون إلى الإسلام أمثال أبى بكر الصديق وخديجة بنت خويلد بسبب أخلاقه التى بلغت مبلغا كبيرًا- عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] .

ثم تحدثت بعد ذلك عن المعجزات كأحد الدلائل على نبوته ﷺ وكيف أن أعظم معجزة هى القرآن الكريم- وما اشتمل عليه من وجوه الإعجاز كإخباره عن المغيبات، وتكلمت كلمة موجزة عن إعجاز القرآن العلمى وإخباره عن أمور منذ خمسة عشر قرنا- بذل العلم الحديث جهودا كبيرة ليصل إليها فى العصر الحديث وأوردت نموذجا على ذلك- خلق الجنين وتطوره- وما فى ذلك من إعجاز. وذلك على سبيل الاستئناس فحسب. . .

وفى **المبحث الثانى:** تحدثت عن عموم بعثته ﷺ فأوردت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الدالة على ذلك واستأنست بفهوم علماء العقيدة وغيرهم حول دلالة هذه الآيات والأحاديث على عموم البعثة.

ثم تحدثت عن بشارة الكتب السابقة بالنبى ﷺ واقتصرت على البشارات التى تدل على عموم بعثته ﷺ.

وفى هذا المبحث تحدثت عن حاجة البشرية إلى الرسالة الخاتمة واستعرضت أحوال الأمم من العرب واليهود والنصارى والفرس وكيف أن الجميع كان فى قلق واضطراب والكل ينتظرون المخلص وكان هذا المخلص هو الإسلام. الذي جاء به محمد ﷺ كنبى ورسول خاتم للأنبياء والمرسلين.

ثم استعرضت بعض خصائص الرسالة التى جعلتها عالمية وخاتمة، وذكرت من هذه الخصائص- الشمولية، والوسطية واشتمالها على الشريعة العادلة- وأن هذه الخصائص لم توجد فى أى دين قبل الإسلام الأمر الذى ينفى عن الرسالات قبله صفة العالمية من الناحية الدينية، والعقلية.

وانتهيت إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد المؤهل لقيادة البشرية إلى أن تقوم الساعة- وأنهيت بذلك الفصل الثانى.

الفصل الثالث: شبهات أهل الكتاب حول عالمية الإسلام والرد عليهم.

المبحث الأول: عرضت فيه شبهة فرقة العيسوية من اليهود وذكرت أنها فرقة وحيدة من اليهود. ليس لها كثير ذكر فى كتب الفرق والمقالات. وأوردت ردود علماء الإسلام على شبهات هذه الفرقة.

المبحث الثانى: شُبه النصارى قديمًا وحديثًا فى إنكار عموم بعثة محمد ﷺ.

تحدثت فى هذا المبحث عن أبرز شبهات النصارى والتى تمثلت فى أن النبى بُعث للعرب خاصة بناءً على أن القرآن نزل باللغة العربية ومن ثم

فالنصارى غير مطالبين بالإسلام وقد فندت شبهتهم وألزمتهم بما يدينون به على الرغم من أن لغة المسيح ولغة الإنجيل الأصلية لا يتكلمون بها ولا يعرفونها. ومع ذلك دانوا بالنصرانية وقدَّسوا الأناجيل وهى بغير لغاتهم.

وعرضت شبهة أخرى لهم تمثلت فى زعمهم أن كل نبى نزل بلسان قومه ولما لم يكونوا من قوم محمد فهم غير ملزمين بالإيمان به ويستدلون بآيات من القرآن الكريم يحرفونها عن مواضعها وقد رددت على هذه الشبهة- وأوضحت أن اللغة العربية هى أشرف اللغات ومن ثم نزل القرآن بها وبينتُ أن الرسول ﷺ نزل بلسان قومه وأنه من المستحيل أن يتكلم بألسنة جميع الخلق ولكن الترجمة تقوم بإيصال معانى القرآن وتعاليم الإسلام لغير العرب.

ثم عرضت شبهة أخيرة مفادها أن النبى ﷺ لم يفكر فى نشر العقيدة الإسلامية خارج الجزيرة وإنما الذين نشروا الإسلام هم خلفاؤه خاصة عمر بن الخطاب. وقد رددت على هذه الشبهة وبينت أن من يزعم هذا يخالف المعقول والمنقول والمتواتر من أن النبى ﷺ خاطب الملوك والأمراء من غير العرب خارج الجزيرة العربية داعيًا إياهم إلى الإسلام.

ورجعت إلى المصادر الأصلية فى هذا الموضوع، وأوضحت كيف أن النبى ﷺ أرسل إلى هرقل - عظيم الروم - والمقوقس- عظيم القبط فى مصر- والنجاشى - ملك الحبشة - وكسرى - عظيم فارس - وأوضحت كيف نازل الرسول ﷺ الروم خارج الجزيرة فى غزوة مؤتة، وغزوة تبوك.

ثم استعرضت آراء المستشرقين من أمثال توماس أرنولد- الذى أثبت بما لا يدع مجالاً للتقول بأن القرآن قد دعا من خلال آياته المكية الناس جميعًا للدخول فى الإسلام، وأن الرسول ﷺ. قد دعا الملوك والأفراد من خارج الجزيرة العربية، وقصدى من الاستشهاد بكلام توماس أرنولد- إنما هو الاستئناس فقط- وضرب المستشرقين بعضهم ببعض.

وقد حاولت فى هذا البحث أن أنصر دينى وأذود عن عقيدتى، مستخدما المنهج العلمى فى عرض الحقائق وإثباتها وأسأل الله أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه من إحقاق للحق وإزهاق للباطل.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

* * *

المدخل
حول التعميم والتخصيص فى الرسالة

اقتضت حكمة الله العليم الخبير أن يرسل إلى خلقه رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤] .

فما من أمة من الأمم إلا وأرسل الله إليهم نذيرا هؤلاء الأنبياء والرسل منهم من ورد ذكره فى القرآن الكريم، ومنهم من لم يرد ذكره - لحكمة يعلمها الله - يقول تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء :١٦٤] .

ونحن غير مطالبين- بتحديد أسماء الأنبياء إلا ما ورد ذكرهم فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة- وقد أورد الله عز وجل أسماء بعض الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] . وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام :٨٣-٨٧] .

وفى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم :٥٦-٥٧] .

وفى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف :٦٥] .

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف :٧٣] .

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف :٨٥] .

وقوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] .

وأخبر الرسول ﷺ فيما صححه ابن حبان عن أبى ذر مرفوعا أنهم مائة وأربعة وعشرون ألفًا - الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر) [١] - صححه ابن حبان. وقد بلغ الأنبياء والرسل من الكثرة حدا كبيرا حتى يُقيم الله الحجة على عباده لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، ومعلوم أن أول الأنبياء آدم عليه السلام. وآخرهم محمد ﷺ- كما حقق ذلك التفتازانى شارح العقائد النسفية [٢] ونحن مطالبون بالإيمان والتصديق برسل الله وأنبيائه الكرام كأحد أصول الإيمان التى لا يتحقق إيمان المسلم إلا بها يقول تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

فالمسلمون من أمة محمد ﷺ يؤمنون بالأنبياء جملة ولا يسمون أحدًا إلا من سمى الله ورسوله فقط [٣] لأن النبوة لا تثبت إلا بالنص ولا تقبل إلا بالتواتر. كما حقق ذلك العلماء.

ولله الحكمة البالغة فى إرسال الأنبياء والرسل لضرورة بعثتهم وحاجة البشر إليهم فهم يأتون بما لا تستقل به العقول. مثل ما يجب لله من

---

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٣٦١ كتاب أحاديث الأنبياء .

(٢) انظر شرح التفتازاني على العقائد النسفية ص ١٦٥ .

(٣) الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٨٤ .

صفات الكمال وما يستحيل عليه من النقص، وما يجوز أن يتصف به، ومثل المعاد الجسمانى، وتعيين الحدود، وتعليم ما ينفع وما يضر من الأفعال، وكذلك معرفة تفاصيل الثواب للمحسن والعقاب للعاصى؛ لأن العقل فى هذه الأمور لا يرشد إلى النافع، والضار من الأعمال والأخلاق والعقائد، ولا يفرق بين الشقى والسعيد فكان من لطف الله بعباده أن يرسل لهم رسلا يبين لهم ما لا يستطيعون الاستقلال به بعقولهم(١).

والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته فيجوز أن يرسل الله عز وجل إلى قوم دون قوم ويجوز أن يرسل اثنين أحدهما إلى قوم والآخر إلى قوم آخرين فى وقت واحد كإبراهيم ولوط، ويجوز أن يرسل واحدًا إلى الكافة (٢) كما أرسل محمدًا ﷺ. مختصًا بذلك دون غيره من الأنبياء.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٧] .

ويقول عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ :٢٨] أى الرساله عامة لهم محيطة بهم والآية ظاهرة فى الاستدلال على عموم رسالته ﷺ (٣).

وقد أخبر النبى ﷺ عما اختص به عن جميع الأنبياء والمرسلين فيما رواه البخارى عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى المغانم ولم**

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٦٤/ ١٦٥ والمواقف لعضد الدين الإيجي ص ٣٤٥، والمقاصد للسعد التفتازاني ج٢ ص ١٢٨ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٦٣ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري ج٣ ص ٢٩٠ وروح المعاني للألوسي ص ٢١/ ٢٢ ص ١٤٢/ ١٤٣

تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[١].

فهذا الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله وقد تتبع ابن حجر رحمه الله الحديث عن بعض الأنبياء مما يتوهم عموم بعثتهم يقول: «ولا يعترض بأن نوحًا عليه السلام كان مبعوثًا إلى أهل الأرض بعد الطوفان لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه، وقد كان مرسلا إليهم ولأن هذا العموم لم يكن فى أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعد هلاك الناس. وأما نبينا محمد ﷺ. فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك»[٢] ولم يدَّع أحد عموم البعثة لأحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ إلا ما كان من النصارى الذين زعموا عالمية رسالة عيسى عليه السلام مما يجعلنا نتكلم بكلمة موجزة عن:

خصوصية الرسالة لأنبياء بنى إسرائيل:

من الأمم التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أمة بنى إسرائيل وقد أرسل الله إليهم أنبياء ورسلا. أنبأنا الله من أخبارهم، وقص علينا قصصهم بداية من موسى وهارون عليهما السلام ومرورا بداود وسليمان وزكريا ويحيى وانتهاءً بعيسى عليهم السلام.

كان هؤلاء الأنبياء والرسل يأمرونهم ويردونهم إلى الطريق المستقيم ويبدو أن بنى إسرائيل كانوا من أكثر الأمم التى أرسل الله إليهم أنبياء

(١) فتح الباري ج١ ص ٥١٩ .
(٢) نفسه ج١ ص٥٢٠ .

ورسلاً نلمح هذا من قول النبى ﷺ. عن أبى هريرة قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[١].

وإنما كثر الأنبياء والرسل لبنى إسرائيل، والله أعلم نظرا لعنادهم وشدة كفرهم يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة :٨٧] .

فذكر سبحانه أنه أرسل إليهم موسى وأيده بالكتاب- أى التوراة وأيده أيضًا بالمعجزات الدالة على صدقه، وقد كثرت آياته لأن بنى إسرائيل كانوا أجهل الأمم وأغلظهم، وأبعدهم عن الصواب، وأبعدهم عن استدراك الحق- فحسب هذه الأحوال اقتضت الحكمة إيضاح الآيات والأعلام وتكثيرها لهم[٢].

وبالرغم من هذا كله قست قلوبهم وقتلوا الأنبياء وكذبوهم بغير حق يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة :٧٠] .

ومن رحمة الله بعباده أن يرسل إليهم رسلا يذكرونهم إذا نسوا ويردونهم إلى طريق الله المستقيم إذا انحرفوا فإن الأمة إذا غيرت دين رسولها الذى أرسل إليها وبدلته أرسل إليها من يدعوها إلى الدين الذى

(١) فتح الباري ج٦ ص٥٩٤ كتاب أحاديث الأنبياء .
(٢) انظر إثبات نبوة محمد ﷺ .

يحبه الله ويرضاه كما أن بنى إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه بعث إليهم داود وسليمان ثم من بعدهم زكريا ويحيى عليهم السلام، ثم لما تزايد الكفر وتغيرت أحوالهم وشاع الإلحاد بعث الله تعالى عيسى عليه السلام بالدين الذى يحبه ويرضاه [(١)] بعد أن بلغ رسل الله الكرام بنى إسرائيل رسالة الله إليهم.

وقد أرسل الله عيسى عليه السلام ليكمل رسالة من سبقه من الأنبياء لبنى إسرائيل.

وكانت رسالة عيسى خاصة لبنى إسرائيل كرسالة موسى عليه السلام ورسالة غيره من الأنبياء لأقوامهم خاصة [(٢)].

يقول الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران :٤٨-٤٩].

فالآيات تدل على أن عيسى عليه السلام كان رسولا لبنى إسرائيل خلافا لما ذهب إليه بعض اليهود من أنه كان لقوم مخصوصين منهم [(٣)] وخلافا للنصارى الذين يزعمون أن رسالته عامة للناس جميعا ولا يعدونه رسولا فحسب وإنما هو إله وابن إله عند الكثير منهم.

وتدل الآيات أيضا على أنه مكمل لما بدأه غيره من رسل الله الكرام- من قبله- ومن ثم كانت التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص ٨٩ وإثبات نبوة محمد ﷺ ص١٦/ ١٧ .
(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ص١٩/ ٢٠، ص٧٩/ ٨٠ .
(٣) انظر تفسير أبو السعود ج١ ص٢٦٢ .

هى نفسها كتاب عيسى بما فيها من تنظيم التعامل بين بنى إسرائيل بعضهم والبعض الآخر. ومضافا إلى التوراة الإنجيل ككتاب من عند الله منزل على عيسى عليه السلام متضمنا بعض الأحكام التى تحل لبنى إسرائيل ما حرم عليهم [١].

وبعد أن أوحى الله إلى عيسى عليه السلام تبليغ رسالته لبنى إسرائيل صدع بها مؤكدا على أنه رسول إلى بنى إسرائيل فقط. مصدقا للتوراة، ومبشرا فى الوقت نفسه بمحمد ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الممتحنة :٦] .

فالنداء هنا واضح والتخصيص بالرسالة إليهم لا لغيرهم لا لبس فيه. ولكن بعد هذا الوضوح. إذ باليهود يقولون: ما هذا إلا سحر مبين- وهذا ديدن المكذبين للأنبياء فى كل زمان ومكان.

ويتوقف «**أبو حيان الأندلسى**»- عند النداء فى هذه الآية لبنى إسرائيل- من قبل عيسى عليه السلام وبين النداء لهم من قبل موسى عليه السلام حيث يقول «**لما كان موسى من بنى إسرائيل قال: يا قوم. إشارة إلى قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ [الممتحنة :٥] **أما عيسى فإنه ناداهم بـ**﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ **من حيث لم يكن له فيهم أب وإن كانت أمه منهم**» [٢].

الخلاصة: أن عيسى عليه السلام كان مرسلا ومكلفا بتبليغ رسالة ربه

(١) ظلال القرآن ج١ ص٣٩٩-٤٠٠ .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٨ ص٢٦٢ نشر دار الفكر .

إلى بنى إسرائيل. وقد قام عيسى بواجب الدعوة إلى الله على الوجه الأكمل. فى مدن بنى إسرائيل وقراهم.. منذرًا لهم، ومبشرا فى الوقت نفسه بمحمد ﷺ. صاحب الرسالة الخاتمة والدين الجامع والدعوة العامة لكافة الناس.

وإن قيام عيسى عليه السلام بدعوة بنى إسرائيل وقصر دعوته إليهم ليس فيه أى انتقاص من شأنه ولا أى تقليل لرسالته فإن دعوة جميع الأنبياء كانت خاصة إلى أقوامهم وليس فى القرآن الكريم ولا فى أحاديث النبى ﷺ ما يشير أو يدل على أن رسالة الأنبياء أو أحد منهم كانت عامة، وإنما كل نبى أو رسول كان يدعو قومه فقط، باستثناء محمد ﷺ الذى كانت رسالته عامة للناس جميعا.

والقرآن الكريم يصرح بذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح :١] .

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم :٤٧] .

وكون الأنبياء خصوا بأقوامهم لا مجال للاجتهاد فيه أو الاعتراض عليه لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فهو أعلم بأحوال الناس والبيئات. وقد كان رسالات الأنبياء - ومنهم أنبياء بنى إسرائيل - متناسبة مع الزمان والمكان آنذاك- ولهذا وجدنا جميع أنبيائهم لم تتجاوز دعوتهم بلاد العراق أو بلاد الشام أو بلاد مصر. أى أنهم لم يخرجوا من الأرض التى يسكنونها ولم يوجهوا دعوتهم إلا لأمتهم من بنى إسرائيل [1] لعلم الله أن شرائع الأنبياء ستنسخ بعد بعثة

(١) الرسالة المحمدية ص١٤٦ - السيد سليمان الندوى - مكتبة الفتح - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ .

محمد ﷺ وبالنسبة لعيسى عليه السلام فقد بلغ رسالة ربه ودعا بنى إسرائيل إلى وحدانية الله وعدم الإشراك به يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة :٧٢] .

وبعد رفع عيسى عليه السلام. . . غُيِّر دينُه وبُدِّل وألحق برسالته ما ليس منها.

ومن الذين بدلوا وغيروا دين المسيح عليه السلام «بولس» [١] أو «شاول» فقد ابتدع ألوهية المسيح عليه السلام ولم ير فى رسالته إلا الصلب. . وقد حول رسالته من رسالة خاصة لبنى إسرائيل إلى رسالة عامة إلى الأمم كلها، ومن أجل نشر بدعته بين الناس حاول أن يأخذ كل جماعة على هواها. زاعمًا لهم أن ما هم عليه من عقائد لا يتعارض مع ما يدعو إليه.

وهلك من المسيح طائفتان- طائفة أحبته فغالت فيه وادعت له الألوهية وهم بولس وأتباعه- إلى اليوم.

وطائفة أبغضته- فكذبته ورمته بالسحر والجنون، ورموه وأمه بالفاحشة وهم اليهود ومن كفر بالمسيح.

وهناك طائفة- أخرى ظلت على رسالة عيسى عليه السلام. موحدة ملتزمة بتعاليمه- مبشرة بمحمد ﷺ. . . ولكنها اضطهدت وشردت واندثرت تعاليمها إلا القليل- وتم ذلك لصالح الوثنية. التى فرضت على

(١) بولس أو شاول ولد في طرسوس كان أبوه فريسيا يهوديا - وكان بولس يضطهد أتباع المسيح في بداية حياته إلى أن زعم أن المسيح ظهر له فرآه عيانا فتحول إلى الإيمان بالمسيح وبشر بالمسيحية في آسيا الصغرى والبلقان وإيطاليا وأسبانيا - انظر قاموس الكتاب المقدس .

النصرانية بقوة السلطان وإقرار المجامع لها .

وظلت الأمور على ما هى عليه حتى بعث الله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا داعيًا الناس كلهم ومنهم اليهود والنصارى إلى الدخول فى دين الله الخاتم وهو الإسلام فآمنت طائفة به من أهل الكتاب وكفرت طائفة حادَّت الله ورسوله أما اليهود فقد كفروا ورفضوا أن يدخل أحد فى دينهم وأما النصارى فكفروا بمحمد ﷺ ولكنهم دعوا إلى دينهم وما زالت الطائفة التى كفرت برسالة الإسلام قائمة إلى اليوم وما زالت التعاليم المبدلة والمحرفة التى ابتدعها بولس هى السائدة إلي اليوم تمد بالمال لنشر المسيحية فى أرجاء العالم مدعية أنها تنقذ تعاليم المسيح مستندة على بعض نصوص الأناجيل فى دعوتها إلى النصرانية للعالم كله وسوف نناقش هذه الادعاءات فى المباحث القادمة إن شاء الله .

* * *

الفصل الأول

النصرانية بين اختصاصها لبنى إسرائيل
وادعاء عمومها لجميع الأمم

المبحث الأول

خصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل من خلال نصوص الأناجيل الحالية.

النصوص الدالة على خصوص الدعوة لبنى إسرائيل:

أولًا: ورد فى إنجيل متى «فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» [1].

البشارة هنا بعيسى قبل مولده. كما ورد فى إنجيل «متى» وأن يسوع يخلص شعبه من خطاياهم، ولكن «وليم إدى» يفسر هذا النص بقوله: «يخلص شعبه أى اليهود أولا. ثم جميع الذين يؤمنون به من كل أمة» [2].

وليس هناك إشارة فى النص من قريب أو بعيد. تشير إلى تخليصه لغير شعبه وهم اليهود وهذا تحكم فى تفسير النص بقول شارح النص أولاً... ما دلالة ذلك فى النص؟ لا وجود لها، وسوف نرصد ونبين كيف طرأت دعوة عالمية النصرانية على يد «بولس».

ثانيًا: ورد فى إنجيل «متى» عن توجيهه لتلاميذه بنشر الدعوة «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين قد اقترب ملكوت السماوات» [3].

(١) متى ١/ ٢٠ .
(٢) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج١ ص٩
(٣) متى ١٠/ ٥- ٨ .

فى هذا النص تتضح وصية عيسى لتلاميذه- إلى طريق أمم لا تمضوا. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا- لقد أرسلهم إلى أمتهم اليهود الشعب المختار والمراد بخراف بيت إسرائيل الضالة- أى اليهود الذين ضلوا عن مسالك الحق والعبادة الروحية فكانوا كغنم بلا راع- وهذا التبشير من قبل التلاميذ كان استعدادا لتنبيه أفكار اليهود وتمهيد الطريق لكل التعاليم المسيحية كما يقول «وليم إدى» فى تفسيره للنص السابق.

ولكن مفسرا آخر لنفس النص- يحاول أن يستشف المرحلية فى الدعوة من خلال وصية المسيح لتلاميذه التى تأمرهم بأن لا يدخلوا عند غير اليهود يقول: **«أمر التلاميذ بأن لا يكرزوا بالإنجيل فى الزمن الحاضر- إلا لليهود فقط»** [(١)] وليس هناك ما يدل على ما ذهب إليه مفسر العهد الجديد من خلال النص الذى يفسره.

ثالثًا: فى نفس إنجيل «متى» نص آخر يدل دلالة صريحة وواضحة على كون دعوة عيسى عليه السلام خاصة لبنى إسرائيل فقط مهما كانت الدواعى والظروف الموجبة لدعوة غيرهم يقول «متى» **«وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمنى يا سيد يا بن داود ابنتى مجنونة جدا فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»** [(٢)].

وتعليقنا على هذا النص هو أنه بالرغم من صراخ المرأة وحاجتها الشديدة لشفاء ابنتها إلا أن المسيح بناءً على رواية إنجيل «متى» لم يغير

---

(١) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص٢٥ دار الثقافة .
(٢) متى الإصحاح ١٥ - ٢٢ - ٢٤ .

موقفه ولم يتصرف من تلقاء نفسه لأنه مرسل إلى بنى إسرائيل فقط- كما أجاب تلاميذه- ونقرأ تفسير ذلك النص فى المصادر المسيحية «لم يكن من مانع حينئذ لشفاء تلك الابنة سوى عدم إرادته لم أرسل أى من الأب إلا إلى خراف بنى إسرائيل».

ويظهر من هذا أن وظيفة المسيح كانت مختصة باليهود والله قضى بأن ينادى بالإنجيل لليهود أولا إيمانًا للعهد، وشفقة المسيح على اليهود حصرت تبشيره بهم فلو نادى للأمم أيضًا لرفض اليهود كلهم ذلك فى الحال لشدة تعصبهم فجواب المسيح لتلاميذه ليس إنكارًا قاطعًا لطلبتهم لكنه إظهار لأن إجابة تلك الطلبة خارج عن دائرة مرسليته حينئذ [١].

وما كاد يعترف بالحق حتى تنكب الطريق وقال فى نهاية تفسيره «حينئذ» ليدل على أن دعوة شعب إسرائيل كانت مرحلة مؤقتة تلتها مرحلة أخرى وهى دعوة المسيح لجميع الأمم بعد ذلك.

والنص الذى بين أيدينا لا يساعده في فهمه - ولكن التحكم فى النصوص هو الذى يسيطر على هذا المفسر وغيره حتى يخلص إلى عالمية الملة النصرانية التى ما نادى بها المسيح ولا تلاميذه على نحو ما سنرى.

وتقول رواية «متى» إن المرأة أتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنى فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب فقالت: نعم يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك ما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة» [٢].

(١) الكنز الجليل ج١ ص ٢٥٦ .

(٢) انظر إنجيل متى الإصحاح ٢٨/٢٥ .

وهذه الرواية إن صحت فلا يعنى أنه دعاها إلى الإيمان برسالته، كل ما فى الأمر أنه شفى ابنتها، وعلى فرض أنه دعاها إلى رسالته فلا يعنى ذلك عموم دعوته؛ لأن «**المعبوث إلى قومه لم ينه عن دعاء غيره إلى الله وهو من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» [(١)] لا من باب التكليف بإيصال الدعوة إلى غير من أرسل إليهم.

رابعًا: ومن النصوص التى تدل على أن عيسى عليه السلام جاء لبنى إسرائيل وأن تلاميذه كانت دعوتهم خاصة باليهود ما ورد فى إنجيل «متى» عن حساب يوم القيامة وقيام المسيح وتلاميذه بالمحاسبة كما يعتقد النصارى يقول «متى»: «**ومتى جلس الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر**» [(٢)].

بنفس منطق إنجيل «متى» مع عدم اعتقادنا بمحاسبة المسيح لأحد ولا التلاميذ لأن الذى يتولى الحساب هو الله رب العالمين. نقول نص «متى» يشير إلى أن المسيح والتلاميذ عن يمينه يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر- الذين يتكون منهم الشعب اليهودى [(٣)] ولو كانت رسالته للعالم لأدان الناس جميعًا؟؟

وبالرغم من الوضوح فى الخصوصية بأسباط إسرائيل الاثنى عشر فإن مفسر إنجيل «متى» يأتينا بفهم جديد للأسباط وأنهم ليس المراد بهم فى العهد الجديد بنى إسرائيل وإنما كل المؤمنين يقول «**أسباط إسرائيل الاثنى عشر فى العهد القديم شعب الله الخاص، ومعناه فى العهد الجديد غالبا كل**

(١) انظر شرح العقائد النسفية للتفتازانى ج١ ص١٩٠ .
(٢) متى الإصحاح ١٩/ ٢٧/ ٢٨ .
(٣) الميزان في مقارنة الأديان ص ٢٨٧ .

المؤمنين [١].

وقد اضطر إلى ذلك التفسير المخالف للمتعارف عليه بين الجميع- من أن الأسباط هم بنو إسرائيل- فذكر أن كلمة الأسباط فى العهد الجديد «غالبا» تدل على كل المؤمنين- فذكر كلمة «غالبا» ليتسنى له إثبات أن التلاميذ يدينون أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر [٢] الذين معناهم فى العهد الجديد كل المؤمنين؟؟ هل رأيت تحكما وليا للنصوص مثل ما يقوم به مفسر الإنجيل ليدلل على أن الدعوة عامة وليست خاصة. .؟ كل هذا لحساب «بولس» فقط لأنه هو أول من ابتدع عموم دعوة المسيح لغير اليهود مخالفا المسيح عليه السلام والتلاميذ فى فهمهم للدين الذى تلقوه عن المسيح عليه السلام.

خامسًا: وإذا تركنا إنجيل «متى» فإننا سنجد التصريح بخصوصية رسالة عيسى واضحة من خلال بعض النصوص فى إنجيل «يوحنا».

ورد فى «يوحنا»: إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله [٣] يقول مفسر العهد الجديد «إن ذريته الخاصة شعب إسرائيل لم تقبله» [٤] ونحن مع المفسر فى أنه جاء إلى بنى إسرائيل، وكثير منهم لم يقبلوه وإن كان البعض منهم قد آمنوا برسالته والتزموا بتعاليمه. وليس معنى أنه لم يقبل من شعبه وإنما قبل من غيرهم أن هذا يجعل رسالته عامة وإنما قبول

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج١ ص٣٢٩ .
(٢) انظر تضارب روايات الإنجيل حول محاسبة الناس يوم القيام من قبل المسيح والتلاميذ في كتابنا اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام - الطبعة الثانية دار الوفاء .
(٣) يوحنا الإصحاح الأول ١٠/ ١١ .
(٤) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص ٢٣٤ .

غيرهم له ولرسالته لا يخرج دعوته من الخصوصية إلى العمومية. ثم لنا أن نتساءل فى أى وقت قبل غير اليهود دعوة المسيح؟

إن نصوص الأناجيل لا تقدم لنا أى دليل على قيام عيسى عليه السلام بدعوة غير اليهود إلى الإيمان به، والتصديق برسالته أثناء حياته ولكن بولس يبنى ذلك على رؤياه الخاصة حتى الذين ناصبوه العداء ووقفوا ضده حين أخبرهم المسيح أنه سيغادر الدنيا لم يفهموا أنه يشير إلى الرفيق الأعلى وإنما فهموا أنه سيغادر مكانهم إلى حيث يعيش اليهود فى الشتات خارج فلسطين لأنهم بالطبع كانوا يفهمون أن رسالته خاصة بهم دون سواهم من الشعوب فلو فكر فى دعوة غيرهم فأول ما تبادر إلى ذهنهم اليهود فى الشتات ورد فى «يوحنا»: فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانين [(١)].

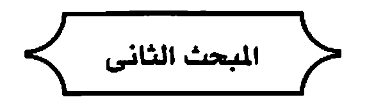
وهنا إشارة إلى أن اليهود لم يفهموا كلامه أو عوجوه وقالوا إن معناه الهرب من البلاد إلى حيث يعيش اليهود متفرقين بين اليونانيين [(٢)].

ولعل إيراد هذا النص يخدم قضيتنا فيما بعد- حين نرصد عمل تلاميذ المسيح خارج فلسطين أنهم ما خرجوا لينشروا تعاليم المسيح لغير بنى إسرائيل وإنما البلاد التى ذهبوا إليها إنما كانت لنشر الدعوة بين اليهود فى الشتات، ومعلوم أن اليهود كانوا يعيشون فى مدن كثيرة خارج فلسطين. مكان دعوة المسيح عليه السلام.

---

(١) يوحنا ٧/ ٣٣/ ٣٦.

(٢) تفسير العهد الجديد ص٢٣٤.



المبحث الثانى

تلاميذ المسيح ومدى التزامهم بخصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل

يشير القرآن الكريم إلى الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وصدقوا برسالته وقاموا بواجب الدعوة معه. ويسميهم بالحواريين قيل سموا حواريين لخلوص نياتهم ونقاء أسرارهم، وقيل لما هم عليه من آثار العبادة وأنوارها [١]. ومعلوم أن الحور فى اللغة البياض، وحورت الثياب بيضتها يقال فلان حوارى فلان أى صفوته وخالصته والحوارى الناصر [٢].

وقد ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فى أكثر من سورة. منها على سبيل المثال سورة آل عمران فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران :٥٢-٥٣] .

إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه وأنهم من خواص عباد الله الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ولم يبدلوا دينه ولم يغيروه وكانوا مبشرين بنبينا محمد ﷺ. فكانوا الصفوة المختارة من أصحاب عيسى الذين يحملون الأمانة من بعده ويبلغونها لبنى إسرائيل، ويبدو أنهم كانوا على درجة عالية من

(١) تفسير أبي السعود ج١ ص٣٦٧ .

(٢) تفسير القرطبي ج٤ ص٩٨ . وانظر مختار الصحاح ص١٥٤ دار الكتب العلمية .

الإيمان واليقين فقد دعوا الله أن يكتبهم مع الشاهدين لدينه أى أن يوفقهم ويعينهم للجهاد فى سبيل تحقيق منهجه فى الحياة وهو دعاء جدير بأن يتأمله المسلمون (١).

ومن خلال حديث القرآن الكريم عنهم فى سورة الصف يتضح أنهم على درجة عالية من الإيمان ونصرة دين الله. الأمر الذى جعلهم موضع القدوة والأسوة لأتباع محمد ﷺ فى جانب الجهاد والصبر على الإيذاء يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الممتحنة: ١٤].

وكعادة القرآن الكريم ومنهجه فى استنباط العظات من قصص أصحاب المواقف الإيمانية الذين وردت فيه قصصهم لم يحدد أسماءهم كأهل الكهف ولا عددهم أيضا ولكن وجدنا الأناجيل الحالية- تحدد أسماءهم وعددهم ووصايا المسيح لهم وتكليفهم بمهام الدعوة.

ونحن لا نحدد أسماء الحواريين ولا عددهم اقتداء بالقرآن الكريم وسنة النبى ﷺ. ومقياسنا فى الحكم عليهم القرآن الكريم بمعنى إذا وردت أفعال أو أقوال منسوبة إلى أحد منهم فى روايات الأناجيل عرضنا تلك الأقوال والأفعال على القرآن الكريم فإذا اتفقت معه قبلناها وحكمنا لصاحبها بالصدق أما إذا خالفت القرآن الكريم رفضناها.

فالقرآن الكريم هو المحور الذى نرتكز عليه ونحتكم إليه فى كل ما يرد عن المسيح وتلاميذه ودعوتهم ونحن إذ نركز على هذا الجانب لأن

---

(١) انظر ظلال القرآن ج١ ص٤٠٢ .

الأناجيل أوردت أسماء الحواريين وأوردت بعض أعمالهم- وأقوالهم ونحن نقيس هذه الأقوال والأعمال بالميزان الإسلامى فما وافق التصور الإسلامى قبلناه وما خالفه رفضناه.

ورد فى «متى» عن تلاميذ المسيح عليه السلام الآتى «**وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه فيلبس، وبرثولماوس توما، ومتى العشار يعقوب بن حلفى، ولباوس الملقب تداوس. سمعان القانونى ويهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه**» [١].

هذه القائمة بأسماء الاثنى عشر تختلف عن القائمة التى وردت فى إنجيل لوقا [٢] ولا يعلق شراح الأناجيل تعليقًا واحدًا على هذا الاختلاف، وكأن الأمر لا يعنيهم فى قليل ولا كثير، ونحن من جانبنا نؤكد أن هذا الاختلاف يوضح التلاعب البشرى الذى أدخله كُتاب الأناجيل. على تعاليم المسيح عليه السلام والذى يهمنا رصده هو أن بعضا من الأسماء التى قال عنها النصارى بأنهم تلاميذ المسيح قاموا بواجب تبليغ الدعوة - لبنى إسرائيل لاعتقادهم أن الرسالة خاصة باليهود فقط حتى إن من دعا منهم غير اليهود واختلط بهم تعرض لكثير من اللوم والعتاب من زملائه بسبب مخالفته لتعاليم المسيح بقصر الدعوة على بنى إسرائيل.

وسوف نتتبع عمل التلاميذ منذ البداية.

---

(١) متى ١٠/ ٢ - ٥ .

(٢) انظر لوقا ٦/ ١٣ - ١٦ .

وصية المسيح لتلاميذه بدعوة بنى إسرائيل:

أوردت الأناجيل الوصايا المتعددة التى وصى بها المسيح تلاميذه والتى على رأسها نشر الدعوة بين اليهود فى مدنهم وقراهم.

أولًا: ورد فى «متى»: «ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان» (١).

فمهمتهم مدن إسرائيل لا يتجاوزونها.

وإذا كانت عودة المسيح على حد زعم إنجيل «متى» بهذه السرعة إلى درجة أنه يقول قبل أن تكملوا الدعوة فى مدن إسرائيل سيأتى ابن الإنسان **«فكيف يمكن الحديث بعد ذلك عن التبشير بين أمم العالم والتكريز بالإنجيل للخليقة كلها؟ إن الإجابة على هذا السؤال واضحة تماما، وهى تتفق وما سبق بيانه من أن دائرة التبشير المسيحى الحقيقى لا تتجاوز بنى إسرائيل»** (٢) وهذه حقيقة تنطق بها الأناجيل والواقع يؤيدها باستثناء بعض النصوص التى وردت فى الأناجيل تنادى بعالمية النصرانية - والتى سيكون لنا معها وقفة متأنية تبين مصادرها وحقيقة أمرها، وزيفها أيضًا.

ثانيًا: ومما يؤكد خصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل ما أورده إنجيل «يوحنا» من وصية المسيح لأحد تلاميذه وهو بطرس **«فبعد ما تغدو قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء قال له نعم يا رب أنت تعلم أنى أحبك قال له ارع خرافى قال أيضًا ثانية يا سمعان بن**

---

(١) متى الإصحاح ١٠/ ٣٤.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٢٠.

يونا أتحبنى قال له نعم إنى أحبك قال له ارع غنمى قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبنى فقال له يا رب أنت تعلم كل شىء أنت تعرف أنى أحبك قال يسوع ارع غنمى» [١].

يقول أحد مفسرى العهد الجديد: **«فكأن السيد يقول إننى أنا الراعى العظيم منطلق عما قريب فأظهر محبتك لى بعنايتك بالذين أفارقهم»** [٢].
نلاحظ أن الوصية كانت بالذين بعث فيهم عيسى- لا غيرهم وهذا دليل يضاف إلى الأدلة الأخرى التى قدمناها بأن غنمه وخرافه هم اليهود ويقال إن بطرس على ما ترويه الأناجيل وأعمال الرسل قام بما كلف به من رعاية التلاميذ من ناحية، وتوصيل الدعوة إلى اليهود من ناحية أخرى.

ثالثًا: ورد فى أعمال الرسل- السفر الذى كتبه «لوقا» رصد لبعض الأعمال الدعوية التى قام بها بطرس مع اليهود **«فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود والساكنون فى أورشليم. أجمعون ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا إلى كلامى)** [٣].

هنا بطرس يخاطب اليهود لا غير.

وورد فيه أيضًا **«أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال»** [٤].

وقد اشتمل هذا السفر على كثير من النداءات من قبل بطرس لليهود والإسرائيلين فقط.

فبطرس وإخواته لم يفهموا أبدا من دعوة المسيح ولا وصاياه أن

---

(١) إنجيل يوحنا ٢١/ ١٥ - ١٧ .
(٢) تفسير العهد الجديد ص٢٨٠ .
(٣) أعمال الرسل ٢/ ١٤- ١٥ .
(٤) أعمال الرسل ٢/ ٢٢ .

يخرجوا عن طبيعتها وبيئتها اليهودية إلى غيرها من الأمم- يقول شارل جينبير : «كانت الجماعة الأولى من المؤمنين بعيسى فى القدس جماعة يهودية صرفة وليس لدينا ما يدعو للشك فيما ترويه أعمال الرسل بهذا الشأن وكان أعضاء هذه الجماعة لا يفترقون عن اليهود الآخرين الأتقياء إلا فى إيمانهم بأن عيسى الناصرى قد شرفه الله فجعل منه مسيحًا وأنه قد تحققت به الآمال. ولا يمكننا أن نتصور أنهم اتجهوا من أنفسهم إلى تبشير المشركين بعقيدتهم فلم يكن ذلك بالنسبة إليهم عملًا ذا معنى [(١)] لماذا؟ لأنهم لم يأمروا به.

وكلام «جينبير» كلام الخبير بالديانة المسيحية المتعمق فى دراسة تطورها خاصة بعد رفع المسيح - عليه السلام - وسوف يقدم لنا تحليلات قيمة، عميقة عن التطور الذى لحق بالنصرانية فحولها من ديانة خاصة لبنى إسرائيل إلى ديانة عالمية كل ذلك على يد «بولس» الذى سيحظى بكثير من الدراسة والتحليل من «شارل جينبير» ومنا أيضًا فى خلال هذا البحث لنثبت أن عالمية النصرانية بدعة من بدع «بولس» وأن كُتاب الأناجيل تأثروا به ونواصل رصدنا «لبطرس» ودعوته ونسجل أقواله الواردة فى الأناجيل وأعمال الرسل والتى تنطق بخصوصية دعوته كتنفيذ لوصية المسيح على نحو ما ورد فى الأناجيل.

ورد فى سفر أعمال الرسل ما ينسب إلى بطرس «الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح» [(٢)] هنا الدلالة واضحة إلى إسرائيل فقط لا غيره وورد فى نفس السفر عنه «وأوصانا أن نكرز للشعب» [(٣)] أى

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٣ .
(٢) أعمال الرسل ١٠/ ٣٧ .
(٣) أعمال الرسل ١٠/ ٤٣ .

اليهودى فلا شعب غيره أمر بطرس وزملاءه أن يدعوهم - وقد حفظ بطرس والتلاميذ الوصايا وتواصوا على عدم الإخلال بها أو التفريط فيها.

وهناك بعض النصوص الواردة فى سفر أعمال الرسل تطلعنا على خصام وقع بين بطرس وزملائه بسبب دخول بطرس عند غير اليهود على إثر استدعائهم له- وتوقفنا المحاورة بين بطرس والذين دخل عندهم من ناحية وبينه وبين إخوانه من ناحية أخرى- على كبر اختلاط اليهودى بغير اليهود وعلى اعتذار بطرس وتفسيره لما حدث بأنه لم يذهب من تلقاء نفسه وإنما استدعى لكى يقابل بعض الأمميين الذين كان لهم سلطان وسطوة آنذاك.

ولنقرأ ما حدث فهو يؤكد لنا أن الدعوة خاصة باليهود فقط وأن أى واحد من التلاميذ لو فكر بأن يخرجها عن إطار الإسرائيليين فإنه يكون قد خان العهد ونقض الميثاق... ورد فى سفر أعمال الرسل:

ولما دخل بطرس استقبله كرتيليوس وسجد واقفًا على قدميه فأقامه بطرس قائلا قم أنا أيضا إنسان ثم دخل وهو يتكلم معه ووجد كثيرين مجتمعين فقال لهم أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتمونى» (١)
وهذا النص نلاحظ فيه أن بطرس يذكر الذين استدعوه للقائهم بحرمة اختلاطه أظنها بغير اليهود ويبدو أن هذا الأمر كان معلومًا لديهم- وهو أى بطرس يركز على استدعائهم له ربما ليخرج نفسه من دائرة الحرج الواقع

---

(١) أعمال الرسل ١٠/ ٢٤/ ٢٩ .

فيها لو أنه ذهب هو إليهم- ثم نراه بعد ذلك ينسب أمر تلبية ندائهم إلى نفسه بعد أن أراه الله ذلك.

كل هذا لأنه ليس معلوما ولا مشهورا لا عند بطرس، ولا عند غيره دعوة الأمم، ولذلك نراه يجتهد فى إثبات أنه لم يأت من نفسه وإنما استدعى ثم بنى دعوته لهم على أساس اجتهادى ولم ينسبه إلى المسيح.

وبالرغم من كل هذا فإن العتاب قد حدث والمؤاخذة قد وقعت لا لشيء إلا لأن بطرس دخل عند غير اليهود فبماذا يفسر هذا؟

يفسر هذا على أن دعوة الأمم كانت غير جائزة فى نظر التلاميذ ورد فى سفر أعمال الرسل «**فسمع الرسل والأخوة الذين كانوا فى اليهودية أن الأمم أيضا قبلوا كلمة الله ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين فى الختان قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم فابتدأ يشرح لهم**» [(١)].

والتساؤل هنا: لو كان المسيح أوصاهم بدعوة الأمم أكانوا يخاصمون بطرس ويحتجون عليه؟ ترى أكان هناك مبرر لهذا التعجب والاستغراب لأن يعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة؟ ألم يكن من أيسر الأمور إذا سمعوا بما كان من بطرس أن يذكرهم ذلك بفعل أو قول من المسيح بإباحته والقبول به؟ أو كان يذكرهم به بطرس إن كانوا قد نسوه لو كان له من أصل يعلمه ويعلمونه ولا يدعيه لنفسه ويبنيه على اجتهاده إن كان المسيح قد قال بدعوة الأمم فلماذا يختصمون إذن؟ وكيف يفوت بطرس وإخوانه أن المسيخ نادى بذلك [(٢)] والحق أن المسيح لم يدع غير اليهود

(١) نفسه ١١/ ١ - ٤ .

(٢) انظر عقائد النصارى الموحدين ص٩٦/ ٩٧ - حسني يوسف يوسف الأطير - نشر دار الأنصار ١٩٨٦ .

إذ إنه مرسل إليهم وهو منفذ لتعاليم الله، وأيضا الحواريون لم يفهموا، ولم يدعوا أحدا غير اليهود لقد كان هؤلاء التلاميذ الذين خاصموا بطرس شديدى التمسك بدعوة المسيح وحتى عندما اضطروا إلى مغادرة أرض الرسالة فلسطين فإنهم ذهبوا إلى الأماكن التى يعيش فيها اليهود خارج فلسطين ليبشروا فيها بتعاليم المسيح بين بنى جلدتهم الذين يعيشون فى الشتات أو المنفى وإذا نسبت الأناجيل إلى أحد من التلاميذ دعوة الأمم أو الدعوة إلى تأليه المسيح نعلم أن هذا كذب وأن الذي قام به ليس من الحواريين الذين أثنى عليهم الله عز وجل فى القرآن الكريم.

* * *

المبحث الثالث

بولس- وعالمية النصرانية (بداية الانحراف)

فى أثناء تتبعنا لرسالة عيسى عليه السلام - لاحظنا كيف كانت دعوته منصبة على بنى إسرائيل لم تتعداهم إلى غيرهم وعلى نفس المنهج سار التلاميذ على نحو ما أوضحنا ولكن بعد رفع المسيح عليه السلام «وجد من حمل رسالته إلى الرومان وغير الرومان أى تجاوزوا بها بنى إسرائيل مهدها الأول الذى نشأت فيه ولكن من الحق أيضا أن دعاتها الأولين لم يخطر لهم أن يجعلوها رسالة عامة للبشر جميعًا وها هى حياتهم وسيرتهم تشهد على هذا [(١)].

فمن الذى حول تلك الرسالة وخرج بها عن طبيعتها من جهة وأضاف إليها ما ليس منها من جهة أخرى؟ إنه:

«بولس» أو «شاول» كما يشار إليه أحيانًا فى الأناجيل وسفر أعمال الرسل. لقد اعتبر مؤسس المسيحية فلا يزال يسود على اعتقاد المؤمنين ويقود عباداتهم فى كل أقطار العالم. كما يذكر قاموس الكتاب المقدس؟ كان بولس يهوديا متشددا فى يهوديته. يقف بكل ما أوتى من قوة أمام رسالة المسيح وضد تعاليمه وتلاميذه.

وقد أورد سفر أعمال الرسل [(٢)] الأعمال الشريرة التى كان يقوم بها، ولم يكتف بمهاجمتهم فى أورشليم بل لاحقهم فى خارجها وفى كل ذلك

---

(١) انظر بتصرف: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص ٥٣ - الدكتور - محمد يوسف موسى.

(٢) انظر أعمال الرسل ٨ - ٣، ٢٢/ ٤، ٢٦/ ١٠، ١١ .

يظن أنه يؤدى خدمة الله والناموس [١] ولكن بعد كل هذه الأعمال سوف نجد له شأنا آخر مع النصرانية التى حولها من ديانة محلية خاصة لبنى إسرائيل كما أرادها الله وكما أرسل رسوله عيسى عليه السلام من أجلهم إلى ديانة عالمية تشمل الرومان واليونان وغيرهم، ثم كان له شأن آخر حين أدخل عليها ما ليس منها من أفكار وثنية ممثلة فى الصلب، وتأليه المسيح ولنتتبع تحوله منذ البداية.

سفر بولس إلى دمشق:

لقد سافر إلى دمشق فى مهمة خاصة لتتبع الرجال والنساء من بنى إسرائيل الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام حتى يأتى بهم موثقين إلى أورشليم ورد فى سفر أعمال الرسل **«أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالًا ونساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم»** [٢].

يقول أحد مفسرى العهد الجديد إن بولس كان موافقًا لليهود على اضطهاد المسيحيين وصار عاملا نشيطا فى ذلك الاضطهاد» [٣].

وينشط علماء تاريخ الأديان فى فهم طبيعة المهمة التى سافر من أجلها إلى دمشق فرواية «لوقا» فى سفر أعمال الرسل تقول إنه تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى الجماعات يقول أحد هؤلاء الباحثين هذه

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١٩٧ .
(٢) أعمال الرسل الإصحاح ٩/ ١- ٢ .
(٣) تفسير العهد الجديد ٣٠٩ .

الرواية نفسها تثير مشاكل عدة منها أن سلطة رئيس الكهنة فى أورشليم لا تشمل الجماعات التى أراد بولس أن يذهب إليها فى دمشق، والقريب من الصواب أن يكون بولس أوفد فى مهمة سرية لخطف بعض المسيحيين المتمردين على سلطة الكاهن الأكبر، وكانت معه عصابة من القتلة المأجورين لكنه لم يكن يحمل رسائل رسمية من الكاهن الأكبر.

إن رواية أعمال الرسل قد حولت مهمة بولس من طبيعتها السياسية إلى طبيعة دينية (١).

إن ما حدث أثناء مهمته سواء أكانت سياسية أو دينية كانت البداية لبولس فقد زعم أن المسيح ظهر له وطلب منه أن يكف عن اضطهاده. يذكر سفر أعمال الرسل عن هذه الحادثة ما نصه: وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا شاول. شاول لماذا تضطهدنى؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس فقال وهو يرتعد ومتحير- يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لم يبصر أحدا فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لم يبصر فلم يأكل ولم يشرب (٢).

وهذه الرواية تحتاج إلى تمحيص وتدقيق لأنه لما كانت هذه الحادثة

---

(١) انظر بولس وتحريف المسيحية ص ٣٨/ ٣٩/ ٤٠ .
(٢) أعمال الرسل ٩/ ٣ - ٩ .

تعد الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إعلانه قبول المسيحية ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها كان من اللازم تمحيصها حتى نتبين حقيقة الأمر.

والرواية السابقة ذكرت على لسان لوقا [١] بينما هناك رواية أخرى للحادثة ذكرت على لسان بولس.

١- فى الرواية الأولى: الذين كانوا مع بولس سمعوا الصوت، ووقفوا صامتين ولكنهم لم ينظروا أحدا.

وفيها أن بولس فقد عينيه ولذلك اقتادوه وأدخلوه إلى دمشق.

٢- فى الرواية الثانية: وردت نفس الحادثة عن بولس نفسه أى بروايته هو- وفيها **«فحدث وأنا ذاهب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى شاول شاول لماذا تضطهدنى؟. والذين كانوا معه نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا الصوت الذى كلمنى فقلت لك أن تفعل وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق** [٢].

هذه الرواية فيها مفارقات عجيبة.

فالذين معه لم يسمعوا الصوت بعكس الرواية الأولى فهى تثبت أنهم سمعوا الصوت والذين معه فى تلك الرواية أبصروا النور- عكس الأولى- التى تثبت أنهم لم ينظروا أحدا.

٣- الرواية الثالثة: وردت على لسان بولس أمام الملك أغريباس

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩ .
(٢) أعمال الرسل ٢٢/ ٦ - ١١ .

يقول: ولما كنت ذاهبا فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نورا من السماء.

ورد فى رسالته إلى أهل غلاطية «ثم بعد أربع عشر سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو سعيت باطلا» (١). وفى تقديرنا أنه لم يكن حريصا على التأكد من صحة ما يدعو إليه من خلال عرضه على التلاميذ.

ما طبيعة هذا الإنجيل وما محتواه يقول جينبير عن بولس وعلاقته بهذا الإنجيل إنه «مدين له أى الإنجيل بالكثير من الإلهامات الخاصة ومن الإيحاءات التى نبعت عن طريق تأديته لرسالته وإن ما تلقاه لهو رصيد عقيدته وإيمانه تلقاه من الذين صاغوه ولو بغير إدراك منهم للأمر فى الصورة التى استطاعت أن تؤثر فيه وتسيطر عليه وهو ما سوف يعمل بدوره فى نشاط لا يقهر على التبشير به ونشره مع الإفاضة فى شرحه للدين الذى أتى به. دين بكل معنى الكلمة. دين خلاص. دين عالمى» (٢).

إذن هو عنده شىء منفرد به ليس امتدادًا لدين عيسى عليه السلام وهذا سوف يتضح من خلال الخلافات المتعددة التى ظهرت بينه وبين التلاميذ حول الخروج برسالة عيسى عليه السلام إلى غير بنى إسرائيل فقد كان تبشير بولس بين غير اليهود أحد المشاكل المهمة بينه وبين التلاميذ.

* * *

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح ٢/ ١- ٢ .
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٨ .

الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح وأسبابه:

بعد أن صعد إلى أورشليم بعد الفترة الطويلة التى قضاها مبشرا بين الأمم وقد حددها بأربع عشرة سنة التقى بالتلاميذ ليعرض عليهم إنجيله الذى يكرز به ويبدو من خلال مناقشاته معهم أنه حدث خلاف بينه وبينهم حول الذين أدخلهم بولس فى المسيحية ولم يختتنوا حسب شريعة موسى عليه السلام مما سبب استياءً من التلاميذ وإصرارهم على ختان من يدخل فى المسيحية يعرض «جينبير» طبيعة الخلاف وأسبابه بين بولس والتلاميذ.

يقول: «كان لابد أن يأتى إلى الإيمان الجديد وفود من المشركين البسطاء فهل للمبشرين بالمسيحية أن يقبلوهم فيها ويعدوهم بنصيب فى مملكة الله؟ هل يصبح هؤلاء الأجانب الذين يجهلون شريعة موسى أصحاب حق فى ميراث يهوه؟ لا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة يستنكفون كثيرا من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها ترددا قويا إلا أنه فرضها عليهم فرضا إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمدًا على أوجه النجاح التى لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى فى ربوع آسيا الصغرى» (١).

وحدثت محاولة توفيقية بين التلاميذ وبولس مؤداها أن دعوة بولس أثارت اليهود المتمسكين بشريعة موسى ولذلك وجب أن يعتذر بولس

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٨ .

عما بدر منه وذلك بإعلانه على الملأ التزامه بشريعة موسى ويتمثل ذلك فى الالتزام أمام الجميع بما اقترحه عليه نصارى القدس بعرض هذا الخلاف وإنهائه على النحو التالى فى سفر أعمال الرسل «فبعد ما سلم عليهم طفق يحدثهم شيئا فشيئا بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب، وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعا غيورون للناموس وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد فإذًا ماذا يكون؟ لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت فافعل هذا الذى لك عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس بشيء بما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضًا حافظا للناموس» [١].

وحول استجابة بولس لما طلب منه يذكر سفر أعمال الرسل «حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل مخبرا بكمال أيام التطهر إلى أن يقرب عن كل واحد منهم القربان» [٢] واستجابة بولس لنصارى القدس- ليس رجوعا عن عقيدته وإنما مناورة اضطر للاستجابة لهم، وإلا فإنه بعيدا عنهم كان ينادى بنفس الأفكار وبعد مغادرته لهم لم يغير من مواقفه وهذا الأمر يعبر عنه أحد الباحثين الغربيين فى تاريخ الأديان بقوله: «إن موقف بولس كان فى منتهى الخسة والدناءة لأنه بعيدًا عن القدس يعلن أن شريعة التوراة نسخت بدعوته التى تلقاها من المسيح، وأمام نصارى القدس

(١) أعمال الرسل ٢١/ ٢٠/ ٢٥ .
(٢) أعمال الرسل٢١/ ٢٦ .

يرضخ لمطالبهم ويعلن الالتزام بشريعة التوراة لكى يمرر المواقف إن خسة بولس وحربائيته أمام الناس تعودان إلى جبنه . كان فى روما يعلن على الملأ بأنه لا يتلق تعليمه من أحد إلا من المسيح ثم هاهو يتراجع عن آرائه لأنه لم يكن خائفًا من ردة فعل الزعماء وحدهم بل كان خائفا من ردة فعل نصارى القدس الذين هددوا بقتله- لقد عرف بولس أنه ارتكب خطأً جسيمًا بمجيئه إلى القدس ولكى يخرج منها سليما كان عليه الرضوخ والليونة» (١) .

إذن فالخلاف بين بولس والتلاميذ كان حول التمسك بشريعة اليهود التى جاء عيسى عليه السلام بها ولقد كان التلاميذ من أحرص ما يكون على الالتزام برسالة المسيح وهناك أمثلة متعددة على اختلافه مع تلاميذ المسيح بل وتشاجره معهم ووصفه إياهم بالكذب منها :

١- تشاجره مع «برنابا» (٢) نظرًا لنظرة بولس الخاصة إلى الأمور المتعلقة بالدعوة، ولم يتورع «بولس» من أن يخاصمه على الرغم من أن «برنابا» هذا هو الذى أخذه وعرفه بالتلاميذ ولولا «برنابا» ما وثق أحد، بشاول ومع كل هذا تشاجر معه بولس وانفصل عنه ليبشر بالمسيحية التى قبلها وفق مفهومه الخاص (٣) .

ورد فى أعمال الرسل عن المشاجرة التى حدثت بين «برنابا» و «مرقس»

---

(١) بولس وتحريف المسيحية ص ٧٨/ ٧٩ .

(٢) ورد في إنجيل برنابا أن سبب كتابته لإنجيله ما رآه من أن البعض بشروا بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافعين الختان الذي أمر الله به دائمًا مجوزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم «بولس» الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد «إنجيل برنابا» ٣/ ٩ .

(٣) التبشير بين الماضي والحاضر ص ٣٥ .

من جهة «وبولس» من جهة أخرى «فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعًا من الإخوة إلى نعمة الله فاجتاز فى سورية وكليكية يشيد الكنائس» [١].

ويبدو أن برنابا هذا انقطعت أخباره تماما بعد ذلك فلم يعد أحد يسمع عنه وليس هناك المزيد من الأخبار عنه الأمر الذى دعا «شارل جينبير» إلى التحسر على قلة المعلومات الواردة عنه بعد أن استنتج أنه كان رجلا ألمعيًا يرجع إليه الفضل فى توثيق بولس لدى التلاميذ [٢].

٢- ونموذج آخر من الاختلافات بين بولس من ناحية، ويعقوب أخو «المسيح» وبطرس «الذى كان زعيما للتلاميذ ووصيا عليهم من قبل المسيح» أن بطرس ويعقوب لم يكن لهما عقائد تختلف عما جاء به المسيح وبما أنهما صحبا عيسى عليه السلام فقد كانا يعرفان أنه طبق الشريعة اليهودية. ولكن ما إن ظهر «بولس» بدينه الجديد حتى أظهرا تحفظا شديدا عليه حتى علما أنه يبشر بدين جديد وقد حاولا التحاور معه فى البداية ولكنهما لم يلبثا أن تولا عنه وانتبذاه وأنكراه [٣] ولكن بولس حين رأى منهما البغض والكراهية من أجل ما يأتي به من مخالفات للشريعة - لم يتورع أن يصفهما بالكذب.

ورد فى رسالة بولس إلى أهل غلاطية.

(١) أعمال الرسل الإصحاح ١٥/ ٣٩ - ٤٠ .
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٣ .
(٣) بولس وتحريف المسيحية ص٢٩، ٣١ .

لكن لم يضطر ولا تيطس الذى كان معى وهو يونانى أن يختتن، ولكن بسبب الأخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا- الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل وأما المعتبرون أنهم شىء مهم كانوا لا فرق عندى- الله لا يأخذ بوجه إنسان فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشىء. بل بالعكس إذا رأونى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىَّ أيضا للأمم فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم للختان [١].

هنا نجد أن تيطس كان من غير اليهود وقد دخل على يد بولس إلى النصرانية وقد ألحت الفرقة المتمسكة بالفرائض اليهودية- بختان تيطس وقد رفض بولس ختان تيطس، وسمى المنادين بذلك بالأخوة الكذبة لأنهم لم يقروا بأن الإيمان بالمسيح هو الطريقة الوحيدة للتبرير- أى لينال الإنسان البر، وقد حاول بولس أن يؤكد بكل وسيلة أنه لا فرق بينه وبينهم وأنه لم يتلق منهم أى شىء بل يزعم أنه تلقى تعاليمه من المسيح مباشرة ولم يلتفت بولس كثيرا إلى الأمر الذى سبب الخلاف هو وجوب التزامه ومن معه بتعاليم الشريعة اليهودية وإنما ركز فى هذه الفقرة فقط على استقلاليته عن بقية الرسل فى أمر الوحى والسلطان [٢] ونحن نتساءل ومن الذى خوله ذلك الحق؟؟؟

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢/ ٣ - ١٠ .

(٢) انظر تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

ما هو يمين الشركة وحقيقته؟

هناك يمين يجب الوقوف عنده ألا وهو يمين الشركة الوارد فى رسالة لبولس إلى أهل غلاطية وهو يعنى اختصاص بطرس بالنصارى المتهودين الذين يراعون ناموس موسى ويعتقدون بأن المسيح إنسان نبى لا أكثر- بينما يكون مجال بولس مع الأمم حيث لم يكن المسيح كلف تلامذته بدعوتهم وهذا يكشف الخلاف العميق بين الفريقين [١].

فريق بزعامة بولس يرى أن الإيمان بالمسيح كاف وحده لتخليص صاحبه لأن بولس ادعى الألوهية للمسيح وأنه ابن الله وأنه تجسد واتخذ صورة إنسان ليصلب ويبذل دمه عمن يؤمنون به تكفيرا لخطيئة آدم، وإذا جاء المسيح بذلك فقد سقطت من ثمَّ فروض الناموس. فلا داعى لها [٢].

وفريق آخر يرى التمسك بالشريعة اليهودية التى جاء المسيح محافظا عليها مناديا بالتمسك بها. قاصرا الدعوة إليها على الذين جاء إليهم المسيح أصلا وهم اليهود، ولذلك وقع الخلاف وحدث الشجار- وأدخل فى النصرانية ما ليس منها أصلا- بسبب بولس الذى ظهر فجأة وكل من عارضه فى نشاطه أو تعاليمه اختفى فجأة أيضا. فعلى سبيل المثال- اختفى «برنابا» ونشاطه التبشيرى [٣] ومع برنابا اختفى إنجيله فلم يعد له ذكر فى قائمة الكتب المعتمدة لدى النصارى من خلال مجامعهم ومؤتمراتهم وتم كل هذا لصالح «بولس» الذى غير دين المسيح عليه

---

(١) عقائد النصارى الموحدين ص ٢١٠/ ٢١١ .

(٢) نفسه .

(٣) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٣٥ .

السلام وأنشأ دينا آخر بكل معنى كلمة دين- لا يمت بصلة إلى الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام . . . وللأسف فإن المجامع النصرانية قديمًا، وحديثًا أقرت ما عليه بولس وطمست أو تجاهلت الدين الحقيقى للمسيح قبل محمد ﷺ: ورفضت الانصياع والانقياد لصاحب الدين الخاتم الناسخ لما قبله- بالرغم من مجيئه بالحق وإخباره لأهل الكتاب بالانحراف الذى دخل على دينهم . . . هذا النبى الخاتم هو محمد ﷺ بدينه الإسلام وكتابه القرآن.

كيف استطاع بولس أن يدخل غير اليهود فى دعوته؟

مر بنا أن دعوة عيسى عليه السلام كانت خاصة ببنى إسرائيل وقد استندنا على آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة فى تأييد هذا الأمر ثم استأنسنا بما ورد من فقرات فى الإنجيل تشير إلى أن دعوة المسيح عليه السلام كانت لبنى إسرائيل وأن التلاميذ لم يفهموا أبدا عموم الدعوة من خلال تعلمهم من المسيح وبعد ذلك وقفنا مع دعوى العالمية وبينا أن مبتدعها هو «بولس» بعد رؤيته المزعومة للمسيح التى ناقشنا رواياتها وبينا ما فيها من تناقض ثم انتهينا إلى أن بولس قد حدث خلاف وشجار بينه وبين التلاميذ حول بعض المسائل والتى كان من أهمها دعوة الأمميين إلى المسيحية وكيف حسم الخلاف لصالح بولس؟

ونحاول هنا أن نجيب على السؤال المطروح وهو كيف استطاع بولس أن يدخل اليونانيين والرومانيين وغيرهم إلى دينه الجديد الذى نسبه زورا وبهتانا إلى المسيح؟

معظم المصادر تشير إلى أن «بولس» بعد رؤيته المزعومة كان يبذل

جهدا غير عادى للتبشير بدعوته، وكان لا يكل ولا يمل من الاتصال باليهود وبغيرهم من اليونانيين والوثنيين. يرصد لنا «شارل جينبير» حركة بولس ودعوته بقوله: «**كان يرتحل من بلدة إلى أخرى، ولا يقيم بضعة أيام فى أى منها إلا حينما يجد جاليات يهودية مهمة، وكان يبدأ الحديث فى المعابد فتثير آراؤه غضب اليهود وعندما يستطيع أن يهدئ من روعهم يحاول إقناعه من يأتى إليه من طلاب المعرفة وفى أثناء ذلك كان يكاتب سائر الكنائس التى غرسها بغية تدعيمها**» [١]، إن الحركة وحدها لا تكفى ولكن يجب أن يكون مع الحركة والدعوة شيء آخر ما هو؟

لقد رسم بولس خطة ذكية تمثلت هذه الخطة فى مخاطبة كل جماعة بما يناسبها [٢] بمعنى أنه كان لا يصادر فكر أحد من الذين يدعوهم بل على العكس كان يثبت لهم أن عقائدهم لا تخالف ما يدعو هو إليه بل وأكثر من هذا كان يثبت لهم أن ما يعتقدونه هو نفسه ما جاء به المسيح فهل يا ترى من الممكن أن يرفض أحد دعوته؟ ولندلل على صحة ما ذهبنا إليه بأحد النصوص من رسائله الأولى إلى كورنثوس [٣] يقول: «**فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأنى بلا ناموس مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شيء لأخلص على**

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٢ .

(٢) انظر إظهار الحق ج ٤ ص - ١١١٢ وانظر تخجيل من حرف الإنجيل ص ١٢٩ .

(٣) كورنثوس . مدينة مشهورة من بلاد اليونان تقع على بعد ٤٠ميلا غربي أثينا وكانت لكورنثوس تجارة متسعة حتى أصبحت مركزًا للغنى والترفه والعلم وحسبت زينة بلاد اليونان - انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٧ .

كل حال قوما وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه» [١] .

فى هذا النص سر النجاح الذى لاقاه بولس: الخداع، والكذب والحربائية ليضلل من يدعوهم من الأمميين ويوهمهم بأن ما هم عليه - لا يخالف ما يدعو إليه وكما يقول جينبير: **«لم يكن غير اليهودى فى هذا العصر يهتم بدعوة عيسى ولم يكن غير اليونانى يستطيع أن يمد فى أبعاد هذه الدعوة حتى يبلغ بها حدود العالمية لقد جمع بولس بين اليهودية واليونانية ثم أضاف إليها ميزة ثالثة غالية هى تمتعه بالجنسية اليونانية أو بتعبير أدق حصوله على صفة المواطن الرومانى وكانت تلك الميزة ذات نفع كبير متعدد الجوانب كانت تحميه من الانزلاق إلى تعصب يهود فلسطين القومى الذى اتصف بضيق الأفق وكراهية الأجنبى، وكانت تدعوه إلى العالمية فى التفكير والعمل ثم كانت هى السبب الذى اتخذه وهو لا يكاد يشعر - ليرتفع بالأمل - الذى ظهر بين طائفة محدودة من اليهود - إلى مرتبة الأديان الإنسانية - لذلك كله نستطيع وصف بولس بأنه كان «منشئ المستقبل»** [٢] وسوف نضرب بعض الأمثلة ونسجل بعض النماذج لما فعله بولس إرضاءً للأمميين حتى يقبلوا دعوته ويدخلوا فى دينه . . . وأقول دينه لأن ما جاء به لا يمت بصلة - فى معظمه إلى تعاليم المسيح، وكثيرًا ما عورض من قبل التلاميذ الذين صحبوا المسيح وعرفوا تعاليمه عن قرب.

ولنأخذ بعض النماذج التى نزل فيها على عادات الوثنيين محاولا كسبهم على حساب دين المسيح.

---

(١) كورنثوس الأولى ٩/ ٢٠ - ٢٤ .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٨ .

أولا: إلغاء الختان:

من الشعائر المعروفة في اليهودية، الختان وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام [١] وجاءت به بعض النصوص في العهد القديم وهو من عهد إبراهيم عليه السلام وتجدد العهد به لموسى أيضًا أي أنه من الشريعة اليهودية التي جاء عيسى عليه السلام بها ليحافظ عليها وأعلن أكثر من مرة كما في الأناجيل أنه ما جاء لينقض وإنما جاء ليكمل فماذا صنع بولس مع هذه الشعيرة إرضاءً للأمميين؟ لقد رأى بولس أن عملية الختان لا يرضى عنها اليونانيون وأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية لا تتناسب مع الحياة العملية وعادات وتقاليد وأساليب تفكير الذين يدعوهم فما لبث إلا أن أعلن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح. بل ذهب أبعد من هذا حين زعم أن المسيح جاء ليبدل عهدا قديما بعهد جديد، وبناءً على هذا - أعفى اليونانيين الجدد من أحكام الشريعة اليهودية، ولا شك أن هذا الإجراء من شأنه أن يجعل الكثيرين يقبلون على دعوته لأنها لا تكلفهم شيئا. ومن ناحية أخرى فهم لم يتركوا شيئًا من معتقداتهم وعاداتهم القديمة كما أوهمهم «بولس» أنه لا تعارض بين عقيدتهم وما يدعو إليه ومما لا شك فيه أن تنازلاته قد أغضبت المتمسكين بالشريعة اليهودية من أتباع عيسى عليه السلام ولكنه بدأ يبرر تنازلاته تلك.

ففي رسالته إلى أهل غلاطية يقول عن عدم ضرورة الختان **«ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس»** [٢].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧ .

(٢) غلاطية ٥/ ٢ - ٣ .

بل أكثر من ذلك ذلك ادعى أن الختان لا ينفع شيئًا بالنسبة لتعاليم المسيح - بالطبع تلك التعاليم التى أضافها بولس - الذى يقول: «لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة»(١).

يفسر أحد النصارى هذين النصين بقوله: «أخذ الرسول يحث الغلاطيين على التمسك بحريتهم وعدم الخضوع للفرائض اليهودية التى تلزمهم بجميع الناموس وتخسرهم نصيبهم فى المسيح وأمرهم أن يفصلوا أنفسهم عن معلمى الضلال السريع السريان وفى النص الثانى يقول إن جميع الذين صاروا خليقة جديدة سواء، كانوا مختونين أو لا هم إسرائيل الله الحقيقى المباركون»(٢).

وقد مر بنا كيف عارض التلاميذ والمتمسكون بالشريعة اليهودية من أتباع المسيح عليه السلام عدم الختان ولكن للأسف حسم كل خلاف لصالح بولس فمنع الختان لأنه لا يتناسب مع المدعوين الجدد. وألغى الختان إلى الآن عند النصارى لصالح تعاليم بولس متناسين تعاليم العهد القديم وسنن الأنبياء من لدن إبراهيم(٣) وحتى عيسى عليه السلام.

وأخيرًا رفضوا الحق الواضح والدين الخاتم الذى جاء به محمد ﷺ.

ثانيًا: الصلب وتأليه المسيح:

كان الصلب على عهد عيسى عليه السلام وقبله فى البيئة اليهودية - وبعده أيضًا عند غير النصارى علامة الذل والعار وحمل الصليب كان يعنى حمل الإهانة ووردت نصوص العهد الجديد تشير إلى ذلك(٤)،

---

(١) غلاطية ٦/ ١٥ .
(٢) انظر تفسير العهد الجديد ص ٤٨٦، ٤٨٨ .
(٣) انظر سفر التكوين ١٧ / ١١ - ٢٧، وسفر اللاويين ١٢ / ٣ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٦ وانظر في مهانة الصليب وحمله متى ٢٤ / ٣٧، ومرقص ١٥/ ٢٦، ولوقا ٢٣/ ٣٨، ويوحنا ١٦/ ٣١، ورسالة كورنثوس الأولى ١/ ٢٣، وغلاطية ٣/ ٣، وغيرها كثير تشير إلى الذل والعار الذي يلحق بالصليب وصاحبه .

ولكن بعد أن دخل بولس فى المسيحية لم ير فيها سوى صلب المسيح وكانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا هى إنجيل بولس الذى جاء ليبشر به فى طول العالم الرومانى وعرضه فلم ير بولس فى رسالة المسيح شيئًا غير هذا [١].

ولكنه فى الوقت نفسه حين بدأ يدعو إلى دينه الجديد رأى الأتباع الجدد لن يتقبلوا فضيحة الصلب فأعمل فكره فى أن يفسر موت المسيح تفسيرًا مرضيًّا يدور حول أسطورة عيسى الذى صوره بأنه شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود وتمثل نوعا من التشخيص لروح الإله. تصوره رجلا سماويا احتفظ به الله إلى جانبه أمدا طويلا حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها بشرية جديدة، وقد عثر بولس على العناصر الجوهرية لكل هذه التركيبات الفكرية فى مجموعة معينة من التصورات المعتادة فى الأسرار عثر عليها فى غالب الظن دون أن يبحثها، و يجب أن لا يغيب عن أذهاننا فكرة البيئة التى عاش فيها بولس متأثرًا بكل الأفكار الفلسفية.

وكما يقول «جينبير» أصبحت الفضيحة الكبرى المزعومة هى السر الأعظم والهدف والعلة الأولى لمجيء عيسى برسالته وليس أدل على ذلك من قول بولس بأن سائر عمله التبشيرى لم يكن سوى حديثه عن الصلب، ولم يكن هذا الحديث بالذى لا يتأثر به اليونانيون بل كان لابد أن يستثير عاطفتهم وقد ركز «بولس» على مسألة الصلب تركيزًا شديدًا لأنه وجد أنها تستهوى الوثنيين فقد كان عنصر تأليه المسيح ثم صلبه الجذب الحقيقى للوثنيين إلى العقيدة المسيحية، وإن بولس هو أول من يتحمل

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ١٣٧ .

مسئولية القول به واستثماره على أوسع نطاق سواء لضرب العقيدة الأصلية أو لنشر فلسفته الخاصة أو لتحقيق الغاية التى صادفت هوى فى نفوس الأباطرة الوثنيين فى روما [١].

وكان لابد من فلسفة هذا الأمر على نحو يرضى الوثنيين فذهب بولس فى مسألة صلب عيسى عليه السلام إلى أن بنى الإنسان ينوؤون بثقل خطاياهم فلا يجدون سبيلا إلى النور الإلهى، وقد أراد المسيح أن يهديهم السبيل فحمل عنهم آثارهم وكفر عنهم بعذابه وموته، وبالتالى كان على البشر أن يتوحدوا فيه بالاطمئنان والحب قبل كل شىء. حتى يشاركوا فى فضله ولينالوا الرحمة يوم القيامة [٢].

ونخلص من هذا كله إلى أن الذى ساعد بولس على نشر تعاليمه فى العالم الرومانى وما وراءه بعد ذلك. أنه كان يتلون مع كل جماعة بما يناسبهم فلا غرو أن يستجيب له الناس على اختلاف أديانهم وثقافاتهم.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه وأن الاختلافات الواردة فى الأناجيل حول الصلب والقيامة من الأموات تعد من أعقد المشاكل الموجودة فى الأناجيل والتى لم يستطع علماء النصارى إيجاد حل لها... وهى دليل على التحريف فى أقبح صوره.

ثالثًا: ادعاء بولس أن المسيح هو الإله المجهول الذى يبحث عنه اليونانيون:

بلغ من خداع «بولس» وكذبه أنه ادعى أن الآلهة المجهولة لدى

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٨ .

(٢) عقائد النصارى الموحدين ص ٢٣٣ .

اليونانيين قد اكتشفها لهم. وقد تمثلت فيما يدعو إليه من إيمان بالمسيح. وقد فعل هذا ليقنع اليونانيين بدعوته ودخولهم فى مسيحيته التى ابتدعها.

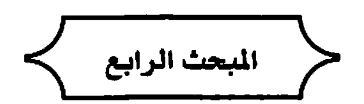
ورد فى سفر أعمال الرسل «فوقف بولس فى وسط آريوس باغوس وقال: أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرًا لأنى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضًا مذبحا مكتوبًا عليه لإله مجهول فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به» [(١)].

هكذا يخاطب «بولس» اليونانيين بأنهم متدينون جدًّا والدليل على ذلك كثرة المعابد عندهم ولكن ما قصة الإله المجهول الذى زعم «بولس» أنه ينادى به؟ أو اكتشفه لهم؟

لهذا الإله المجهول قصة مفادها أنه قد انتشر وباء الطاعون فى تلك المدينة التى دخلها بولس وكان ذلك قبل ستمائة سنة من زيارته للمدينة ويبدو أن أحدًا لم يستطع مقاومة هذا الوباء وإذا بأحد الشعراء اليونانيين يقدم لأهل المدينة اقتراحا - بأن يطلقوا قطيعا من الغنم ابتداءً من أريوس باغوس فى كل المدينة وكل شاة ترقد أمام تمثال أحد الآلهة - كانت تقدم ذبيحة لهذا الإله - أما الخراف التى ترقد بعيدا وبالقرب من إله غير معروف فكانت تذبح للإله المجهول. وأصبح فى أثينا نظام معترف به للآلهة المجهولة - وكان بولس فى رأى مفسر أعمال الرسل فنانا فى توجيه رسائله إلى مجموعة من السامعين فقد استغل جهلهم بالإله المجهول وأعلن لهم أن المسيح امتاز عن كل الآلهة فهو ليس إلها مجهولا بل إلها مقاما وهو الإله الذى نتعامل معه.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٧ .



مناقشة النصوص الداعية إلى عالمية النصرانية ونقضها

تمهيد:

بعد أن أثبتنا النصوص الواردة فى الأناجيل والتى تثبت خصوصية رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل - انتقلنا فى التدليل على خصوصية رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل بعمل تلاميذ المسيح عليه من بعده فى دعوة بنى إسرائيل إلى دين عيسى عليه السلام.

وبعد ذلك انتقلنا إلى ادعاء العالمية للنصرانية وبينا أن بولس هو أول من دعا إليها مع غيرها من البدع التى أدخلها على دين المسيح عليه السلام وقد ناقشنا الأصل الذى اعتمد عليه بولس فى دعواه وهو زعمه أن المسيح أمره بذلك بعد رؤية بولس له على طريق دمشق وقد أوضحنا التناقض الوارد فى تلك الحادثة وانتهينا إلى أنه كذب وافتراء من بولس وأوردنا طرفا من الخلافات بين بولس والتلاميذ والتى كان من أسبابها دخول غير اليهود عن طريق بولس إلى المسيحية و كيف عارضوه وانتهى الأمر إلى تشاجره مع بعضهم.

وفى هذا المبحث نعرض لنصوص الأناجيل التى تدعو إلى عالمية النصرانية ثم نناقشها ولابد أن نذكر أن كُتَّاب الأناجيل تأثروا فى دعواهم تلك «ببولس» خاصة إذا علمنا أن أول ما سجل من الأسفار والرسائل المسيحية كانت كتابات بولس التى كتبت ما بين عام ٥٠ م إلى ٦١م.

أما الأناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل الذى كتبه «لوقا» فقد كتبت ما بين ٦٨/ ١١٢م على هذا النحو الآتى:

إنجيل «مرقس» ٦٨م، وإنجيل «لوقا» ٩٠م، وأعمال الرسل ٩٥م، وإنجيل «متى» ٩٥م، وهذه التواريخ تقريبية - وليست مؤكدة (١).

ولا يشك الباحثون أن كتاب الأناجيل تأثروا فى كتاباتهم لأناجيلهم بما دونه بولس فى رسائله التى تعد من أقدم الأسفار المسيحية التى قبلتها الكنائس الأولى على الرغم من أن بولس لم يكن قط من تلاميذ المسيح وبالرغم من ذلك فإن تعاليمه هى التى شاعت وكان لها الغلبة كما أن رسائل بولس هى التى سبقت الأناجيل فى الكتابة ولم تزل تتقدم عليها فى الاستشهاد بها فى الدراسات والتعليم المسيحى حتى اليوم (٢) وسوف نعرض نصوص الأناجيل الداعية إلى عالمية الملة النصرانية. سواء من إنجيل «متى»، أو «مرقس»، أو «لوقا» - ثم نثبت مدى تأثر كتاب الأناجيل فى هذه الفقرات بالذات «ببولس» كأحد الفروض الرئيسة - أو إضافتها فيما بعد كأحد الاتجاهات التى ذهب إليها الباحثون فى تاريخ الأديان حتى يثبت لدينا يقينا ولغيرنا من النصارى أن عالمية النصرانية ودعوة غير اليهود لم يقل بها المسيح ولم يمارسها لا هو ولا تلاميذه وإنما الذى نادى بها وخرج بها من دائرة بنى إسرائيل إلى غيرهم إنما هو «بولس» على النحو الذى عرضناه. . .

أولاً: مناقشة ما ورد فى إنجيل متى حول عالمية النصرانية:

ورد فى متى: فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع إلى كل سلطان فى السماء

---

(١) أعمال الرسل ١٧ / ٢٣ - ٢٤ .

(٢) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ / ٣٠ / ٣١ .

وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس [١].

يقول «وليم إدى» جميع الأمم كان إرسال المبشرين بالإنجيل فى أول الأمر إلى اليهود فقط ولكن المسيح أطلقه هنا فأمر بتبشير كل الناس يهودا وأمما وهذا مناقض لآراء اليهود كل المناقضة حتى إن تلاميذ المسيح توقفوا عن طاعة هذا الأمر لتعصبهم اليهودى فانقضى عليهم سنون وهم متأخرون عن إجرائه حتى ألزمهم الاضطهاد فى أورشليم أن يذهبوا منها ويبشروا الأمم [٢].

إن الاعتراف بخصوصية رسالة عيسى عليه السلام يكاد يظهر بين ثنايا كلام مفسر نص إنجيل «متى».

إذا قلنا إن الدعوة فى البداية كانت لليهود فلنا أن نتساءل هل نسخ هذا الأمر بأمر آخر للتلاميذ أن يذهبوا ويكرزوا لسائر الأمم؟ والنصارى لا يعترفون بالنسخ فعلام يحمل الأمر أولا، وأخيرًا؟؟

ثم إذا رفض التلاميذ أمر عيسى معلمهم فعلام يحمل هذا الرفض؟ وهل ينبغى للرسل أن يمتنعوا عن تنفيذ أمر معلمهم وهو من صميم الطاعة له؟ كل هذه إلزامات لا نجد إجابة عليها عند أحد مفسرى إنجيل «متى» فى هذا النص وغيره من النصوص ونقول إنهم رسل مجاراة للنصارى فى إطلاق هذا الوصف عليهم، وإن كنا لا نوافقهم عليه ثم لنا أن نقول إنه على فرض أن التلاميذ رفضوا ثم اضطروا إلى تبشير الأمم بعد الاضطهاد

---

(١) نفسه ص ٣١ / ٣٢ .
(٢) متى الإصحاح ٢٨ / ١٨ / ١٩ .

فهو أمر ضرورى طارئ وليس من أصل الرسالة كما يفهم من كلام «وليم إدى» وسوف نورد من الأدلة ما يدحض حجة النصارى عموما حول هذه القضية.

وبصرف النظر عن تفسير النص- فإن إنجيل «متى» نفسه دار حوله أخذ ورد فإن علماء اللاهوت النصارى وجهوا النقد إلى إنجيل «متى» نفسه وعلى وجه الخصوص خاتمته التى ورد فيها النص بعموم رسالة المسيح ومما ذكروه.

١- أن الغموض يحيط بكاتبه وتاريخ تأليفه والمكان الذى كتب فيه فلا يعرف على وجه التأكيد اسم مؤلفه وقد ضاعت النسخة الأصلية ووجدت ترجمتها ولا يعرف أى شيء عن الشخص الذى ترجمها حتى اسمه مجهول فكيف يعتمد عليه وهل يصدق بأنه كتاب مقدس؟ [(١)].

٢- ثم تأتى خاتمة إنجيل «متى» التى يشكك فيها الباحثون ويعتبرونها دخيلة عليه فهى تنسب للمسيح قوله لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» ويرجع السبب فى ذلك الشك كما يقول «أدولف هرنك» إلى الآتى:

أ - «لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية. ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من بين الأموات وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا [(٢)].

---

(١) الكنز الجليل ص ٥٣٨ .

(٢) انظر التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٨ وهامش بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي تحقيق الدكتور محمد عبد الغني شامة ص ٧٩ وانظر أضواء على المسيحية للدكتور رءوف شلبي ص ٣٩/ ٤٠ وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٢ ص ٨١ وإظهار الحق ص ١٥١ والفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١ .

ب - إن صيغة التثليث التى تتكلم عن الآب، والابن، والروح القدس - غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل [١].

وقد نبه علماء الإسلام إلى تفرد «متى» بهذه العبارات - يقول «يحيى بن نصر» فى مجادلته للنصارى حول زعمهم عالمية النصرانية «**فمن أين أخذتم هذا الاعتقاد؟ ومن أمركم به؟ وفى أى كتاب نزل وأى نبى تنبأ به؟ وأى قول قاله المسيح حتى استدللتم به على هذا المعنى حتى تدعونه فيه وهل بنيتم إلا على قول «متى» عن المسيح أنه قال لتلامذته حين أراد أن يفارقهم إلخ** [٢].

وانفراد متى وحده بهذه الرواية على هذا النحو - ينفى عنها أى قدسية... فمع أنها باطلة أصلا... فإن أحدًا من الأناجيل المعتمدة لدى النصارى لم يذكرها. فقد ذكر «لوقا»، و «مرقس» لفظ الكرز وهو التبشير والوعظ للأمم ولكن لم يذكرا التعميد باسم الآب، والابن، والروح القدس، ومع أن إنجيل «يوحنا» أشد الأناجيل حرصا على تدوين أقوال المسيح وأعماله وباعتراف علماء النصارى ومنهم الخمس مائة الذين اشتركوا فى دائرة المعارف البريطانية أنه ألف بعد المسيح بفترة للرد على منكرى ألوهيته فإن هذه الفقرة رغم أهميتها عند النصارى ليس لها أصل فى هذا الإنجيل علما أنه انفرد عمن سواه بين الأناجيل بذكر أشياء كثيرة أقل أهمية من هذه العبارة، ولا تتوقف عليها النجاة، ولقد انبنى على الخلاف الواقع فى ألفاظ هذه العبارة خلاف شديد بين طوائف

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٠/ ٦١ .

(٢) النصيحة الإيمانية ص ١٢٦ - نصر بن يحيى عيسى المتطبب تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي نشر دار الصحوة .

النصارى حتى حكمت كل طائفة على غيرها بالكفر ما لم يجر التعميد على طريقتها [١].

ومما يدلل على كذب «متى» فى نسبته هذا القول للمسيح أن التثليث وألوهية المسيح لم يتقررا فى عقيدة النصارى إلا فى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادى بموجب قرارات مجمع نيقية الذى تم عقده فى ٣٢٥م بأمر قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية أما ألوهية روح القدس فلم تتقرر هى الأخرى إلا فى مجمع قسطنطينية ٣٨١م الأمر الذى يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى إنجيل «متى» خصوصًا وأنها تتناقض مع تعاليم المسيح وتلاميذه حال حياته - من أن الدعوة كانت لبنى إسرائيل فقط [٢].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن إنجيل «متى» محرف ومبدل ونسخته الأصلية ليست موجودة يقول رحمت الله الهندى: إن إنجيل «متى» كان باللسان العبرانى وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية والموجود الآن ترجمته ولا يوجد عندهم سند هذه الترجمة حتى يعلم باليقين اسم المترجم أيضا إلى هذا الحين [٣] وحتى على فرض وجود هذه الأمور ومعلومية مصدر إنجيل «متى» وكاتبه ومترجمه فإن بعض شراح الأناجيل يعتبرون أن هذا الإنجيل كتب لليهود وليس للأمميين ولذلك استحق أن يكتب فى أول العهد الجديد والدليل على ذلك فى رأى «وليم إدى».

١- اقتباساته العديدة من العهد القديم وهى ليست أقل من خمسة

---

(١) انظر بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص العهدين ص ٧/ ٧١ .
(٢) الميزان في مقارنة الأديان ص ٢٨٨/ ٢٨٩ .
(٣) إظهار الحق جـ ١ ص ١٥١ .

وسبعين عددا.

٢- أنه لا يتعرض لذكر عادات اليهود لكونها معلومة عند القارئ الذى تكتب له.

٣ - أنه يصرح بيسوع مرسلا مخصوصًا إلى اليهود [(١)].

الله أكبر وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ويحرفون - مفسر الإنجيل يقول بأن إنجيل «متى» يصرح بأن عيسى مرسل مخصوص إلى اليهود. وهل نقول بغير ذلك؟ فلم إذن إضافة الفقرات التى تدعو سائر الأمم إليه؟ . . . والتساؤل الآن من الذى أضاف إلى إنجيل «متى» النص الذى يصرح فيه على لسان المسيح بدعوة جميع الأمم من قبل التلاميذ وليست الدعوة فقط وإنما الدعوة إلى الوثنية باسم الآب، والابن، والروح القدس التى ما نادى بها عيسى وما حق له أن ينادى بها وهو عبد الله ورسوله - الذى يدعو مع إخوانه الأنبياء إلى وحدانية الله وعدم الإشراك به. إن وجود النص المصرح بدعوة جميع الأمم إلى الوثنية - دليل على التحريف والتبديل الذى مارسه النصارى بعد عيسى عليه السلام على دعوته وإنجيله - الحق الذى أنزله الله عليه - وعلمه إياه. . . وبشر بمحمد ﷺ كنبى خاتم بدين ناسخ لما قبله من الأديان ومن بينها النصرانية.

ثانيًا: ما ورد فى إنجيل مرقس حول عالمية النصرانية ومناقشته:

ورد فى إنجيل مرقس نص وحيد فى الإصحاح الأخير منه حول توجيه المسيح للتلاميذ بقوله كما يزعمون: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا

---

(١) مقدمة إنجيل متى - وليم إدى.

بالإنجيل للخليقة كلها»[١].

وورود هذا النص فى آخر إصحاح من إنجيل «مرقس» يثير مشاكل لا تقل خطورة عن المشاكل التى أثارها الإصحاح الأخير من إنجيل «متى» وكما رأينا من قبل يقول صاحب تحفة الأريب وأما مرقس فما رأى عيسى قط وكان دخوله فى دين النصارى بعد أن رفع المسيح عليه السلام وتنصر على يد بطرس الحوارى وأخذ عنه الإنجيل بمدينة رومة، ومرقس هذا قد خالف أصحابه الثلاثة الذين كتبوا الإنجيل فى مسائل جمة[٢] هذا بوجه عام عن مرقس صاحب الإنجيل الذى يزعمون أنه كاتبه. إن المحققين يتساءلون من هو مرقس؟ يقول نينهام مفسر إنجيل مرقس إنه ليس من الحواريين ولم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة فى الكنيسة الأولى[٣].

ويضيف «إريك نينهام» لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره فى العهد الجديد إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعا فى الإمبراطورية الرومانية فعندئذ نتحقق من مقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة[٤] ويصل الشك مداه فى نسبة هذا الإنجيل لمرقس القول بأن «بطرس» كتبه رواية عن مرقس مع أن بطرس هو رئيس التلاميذ فكيف ينقل أى بطرس عن

---

(١) الإصحاح ١٦/١٥/١٦ .

(٢) تحفة الأريب ص ١١١/١١٢ .

(٣) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٢ .

(٤) نفسه ص ٥٢ .

مرقس الذى لم ير المسيح ولم يعاصره [١]؟

وأمام هذه الشكوك التى تحيط بمرقس من ناحية شخصيته ثم من ناحية تاريخ كتابته التى يختلف حولها ما بين الأعوام ٦٥/ ٧٥م، ثم الشك حول مكان كتابته فالبعض يقول أنطاكية، والبعض يقول مصر أو روما كل هذه الملابسات والشكوك جعلت الباحثين يذهبون إلى أن أحدا لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل وإن كان الرأى الشائع أنه كان بين تلاميذ بطرس وتابعيه، والبعض يذهب إلى أنه مبشر الإسكندرية وأول أسقف لكنيستها لكن بعض العلماء يعتبر هذا الرأى من المأثورات العجيبة تماما مثل الاستدلال الخاطئ الذى توصل إليه أوغسطين من أن مرقس كان واحدا من الذين تبعوا **«متى واختصروا إنجيله»** [٢] هذا ما كتبه المحققون من الباحثين حول شخصية مرقس الذى ينسب إليه الإنجيل ولا ريب أن محتوى الإنجيل أى متنه أكثر إثارة للشك والتناقض من كاتبه.

فمن ضمن مشكلاته الرئيسة عدم اتفاق النسخ الموجودة الآن يقول **«نينهام» : «لقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ومن بين مئات المخطوطات أى النسخ التى عملت باليد لإنجيل مرقس والتى عاشت إلى الآن فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماما** [٣] هذا ما كتبه المحققون من النصارى عن الإنجيل بوجه عام فماذا عن خاتمته التى ورد فيها النص الداعى إلى دعوة الخليقة كلها إلى المسيحية والتى يبنى عليها النصارى مع غيرها من النصوص القليلة عالمية النصرانية؟؟

---

(١) هامش بين الإسلام والمسيحية ص ٨٠ للدكتور محمد عبد الغني شامة .
(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٣ .
(٣) نفسه ص ٥٥ .

خاتمة إنجيل مرقس وما دار حولها:

إن أهم مشكلة فى إنجيل «مرقس» هى خاتمته والتى تواتر أقوال المحققين على إضافتها لهذا الإنجيل فى فترة لاحقة لزمن كتابته المختلف عليها فى الأصل يقول أحد مفسرى إنجيل مرقس: ونلاحظ أن خاتمة هذا الإصحاح إضافة مختلفة الأسلوب فى الإنشاء عما سبق [١] وهذا القول يتفق مع ما قرره الباحثون الغربيون النصارى فى شأن خاتمة إنجيل مرقس ينقل رحمت الله الهندى عن أحدهم قائلا: صرح «جيروم» فى مكتوبه أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون فى الباب الأخير من إنجيل «مرقس» وينقل أيضًا عن محققيهم ما انتهوا إليه بالنسبة لخاتمة إنجيل «مرقس» يقول وقال المحقق نورتين فى الصفحة ٧٠ من كتابه المطبوع ١٨٣٧م فى بلدة بوستين فى حق إنجيل «مرقس» فى هذا الإنجيل عبارة واحدة قابلة للتحقيق وهى من الآية التاسعة إلى آخر الباب (لاحظ أن النص المثار يقع بين هذه الأعداد) والعجب من كريسباخ أنه ما جعلها معلمة بعلامة الشك فى المتن وأورد فى شرحه أدلة على كونها إلحاقية [٢] وهذا ما تتفق عليه نتائج الباحثين من أن نهاية هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل «متى» غير متفق عليها فى النسخ المختلفة إذ إن الإصحاح السادس عشر وهو الأخير من إنجيل مرقس يحتوى على عشرين عددا. لكن الأعداء من رقم تسعة إلى رقم عشرين وهى آخر الإنجيل تعد فى نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد كأنها فقرات غير

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٣ .

(٢) نفسه ص ٥٥ .

موثوق بها. ولا أحد من الناس يدرى حقيقة الخاتمة التى انتهى بها إنجيل «مرقس» وأن الغموض الذى يحيط بخاتمته لا يختلف كثيرا عن الغموض الذى يكتنف شخصية «مرقس» الذى التصق اسمه بهذا الإنجيل (١).

وأخيرًا فإن الخلاصة أن الباحثين فرغوا منذ أمد بعيد من الإقرار بأن خاتمة مرقس الوارد بها النص الخاص بدعوة الأمم لا وجود لها فى أقدم النسخ المنسوخة إلى مرقس وأنها أضيفت فى وقت متأخر باستثناء الفقرات الأولى منها حتى إن بعض النسخ استباحت أن تضع ملخصا لهذا الجزء المضاف بدلا من نصه (٢) وعلى هذا فتكون الفقرات الأخيرة والتى تتحدث عن عموم الدعوة مضافة ولم تصدر أساسًا عن المسيح عليه السلام.

ثالثًا: مناقشة نص إنجيل «لوقا» المصرح بدعوة جميع الأمم إلى المسيحية:

ورد فى إنجيل «لوقا» فى الإصحاح الرابع والعشرين ما نصه: **«وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم** (٣) فيما يتعلق «بلوقا» صاحب الإنجيل فهو لم يدرك عيسى عليه السلام ولا رآه ألبتة وإنما تنصر بعد أن رفع عيسى عليه السلام وكان تنصره على يد «بولس» الإسرائيلى الذى لم يدرك بدوره عيسى وكان من ألد أعداء النصرانية (٤).

---

(١) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد ص ١٢٨ .
(٢) إظهار الحق ط ص ١٥٢/١٥٣ .
(٣) لوقا - ٢٤/٤٧ - ٤٨ .
(٤) تحفة الأريب ص ١٠٧/١٠٩ .

وكما تطرق الشك حول شخصية «متى»، و «مرقس» تطرق الشك أيضًا حول «لوقا» ففضلا على أنه ليس من الحواريين ولم ير المسيح عليه السلام فإنه كان من غير اليهود وقد استخلص الباحثون ذلك من خلال اهتمامه بالأمميين من ناحية ومن ناحية أخرى تجنبه الخوض فى المسائل اليهودية البحتة.

إن الفكرة السائدة لدى المؤلفين المسيحيين هو أن «لوقا» كان طبيبا وكان صديقا لبولس وقد ورد ذكره فى رسائل بولس أكثر من مرة - كزميل له [(١)] ومن ثم يذهب الكثيرون إلى أن النص الأخير الذى تحدث فيه لوقا عن تخليص المسيح لجميع البشر قد أضيف إلى إنجيله من زميله «بولس» - الذى تواتر عنه أنه هو الذى نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة ببنى إسرائيل إلى ديانة عالمية لجميع الأمم [(٢)].

وبالرغم من قلة النصوص الواردة فى الأناجيل من ناحية والاختلاف حولها من ناحية أخرى فإن النصارى قديمًا وحديثًا يجمعون على عالمية النصرانية إستنادًا على تلك النصوص ففى الرسالة التى بعث بها أحد القساوسة إلى أبى عبيدة الخزرجى من علماء الأندلس وجدنا هذا القسيس يركز على عالمية النصرانية يقول عن المسيح ورسالته ورسالة التلاميذ من بعده: «ثم إنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين. فأحيوا الموتى كمثل ما فعل المسيح، وأرسلهم المسيح إلى جميع الأجناس وأمرهم بإفشاء أمره بعد أن كان يشرح لهم شرائعه بنفسه» [(٣)] وقد فندنا هذا الادعاء من قبل سواء من

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٤/ ٦٥ .

(٢) انظر: هامش بين الإسلام والمسيحية ص ٨١/ ٨٢ .

(٣) نص رسالة القسيس في كتاب بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي ص ٧٧/ ٨٢ تحقيق الدكتور - محمد عبد الغني شامة .

ناحية عدم أمر المسيح تلاميذه بدعوة غير اليهود أو من ناحية التلاميذ أنفسهم على نحو ما أسلفنا.

ويتبنى النصارى المحدثون على اختلاف فرقهم وألسنتهم هذا الاتجاه الذى يذهب إلى عالمية النصرانية. وتقام المؤتمرات التنصيرية من أجل هذا الغرض ليعم دين المسيح العالم كله كما يزعمون... ويقاتل، وترتكب أخس الأعمال من أجل هذا المبدأ.

ورد فى علم اللاهوت النظامى هذا السؤال - لماذا وجهت دعوة الإنجيل إلى الناس. إذا كانوا لا يخلصون جميعا؟ ويجيب محرروا هذا الكتاب بقولهم:

أولاً: إن دعوة الإنجيل ليست إلا أمر الله للبشر بأن يتوبوا ويؤمنوا بالرب يسوع المسيح.

ثانيًا: دعوة الإنجيل العامة هى الواسطة التى وضعها الله لجميع مختاريه وقد أعلن للجميع وعرضت عليهم بلا تمييز.

ثالثًا: أن من نتائج دعوة الإنجيل العامة أن كل من يؤمن يخلص وإظهار شر من يرفضونها عمدا وإصرارهم على آثامهم [١].

هذا دينهم وتلك عقيدتهم ومن ثم نجد بينهم اتفاقًا على وجوب تنصير العالم وينفقون الأموال الطائلة لتحقيق هذا الغرض.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ

---

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي ص ٩٢٨ - ٩٢٩ دار الثقافة المسيحية.

جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال :٣٦] .

مدى تأثر كُتاب الأناجيل بأفكار بولس؟؟

لابد أن نشير إلى حقيقة هامة أصبحت تفرض نفسها على الدارسين للأناجيل ورسائل بولس هذه الحقيقة هى أن كتاب الأناجيل تأثروا جملة وتفصيلاً بآراء بولس يقول «هيم ماكيبى» فى كتابه بولس وتحريف المسيحية :

إن رسائل بولس فى الواقع ليست إلا النصوص الأولى للعهد الجديد ما دام أنها كتبت بين ٥٠/ ٦٠م بينما لم تكتب أناجيل «العهد الجديد» إلا ما بين ٧٠م/ ١١٠م أى أن مؤلفى هذه الأناجيل تأثروا برسائل بولس التى كتبت قبلهم وتشربوا بأفكاره وتأويلاته إن بولس حاضر ناظر فى العهد الجديد منذ كلمته الأولى ولا شك فى أن مفاهيم بولس ونظرته قد طغت على الأناجيل طغيانا دل على انتصار نظرته على ما فعله المسيح على الأرض وذلك فى عقيدة الكنيسة بعد ذلك [١] وما يقوله صاحب هذا الكلام يصيب الحقيقة فإن النصارى وللأسف تركوا تعاليم المسيح وانقادوا لتعاليم بولس وظل فكره يتناقل حتى صار هو القدوة للنصارى الآن فى الشرق، والغرب ورسائله وأعماله مقدمة فى الاستدلال عن بقية كتب النصارى. . . .

* * *

(١) انظر: بولس وتحريف المسيحية ص ١٥ تأليف هيم ماكيبى ترجمة سميرة عزمي الزين منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية الطبعة الأولى ١٩٩١م .

تعقيب :

لقد اتضح لنا جليا أن فكرة عالمية النصرانية لم تعرف أو يُنادَى بها إلا عن طريق بولس وأنه لا المسيح، ولا الذين عاصروه سمعوا أو شاهدوا المسيح يدعو غير بنى إسرائيل وقد استعرضنا النصوص التى تتحدث عن خصوصية الرسالة التى أتى بها المسيح عليه السلام ورجحنا أنها الحق لأنها تتطابق مع ما أخبر به القرآن الكريم وما تحدث عنه الرسول ﷺ من أن كل نبى كان يرسل إلى قومه خاصة. ثم استعرضنا بعد ذلك النصوص الواردة فى كل من إنجيل «متى»، و «مرقس»، و «لوقا» وأتينا على بنيانها من القواعد سواء من ناحية أصحاب الأناجيل التى وردت فيها هذه النصوص أو من ناحية النصوص نفسها التى دل النقد الداخلى لها على أنها مضافة فى عصور متأخرة زمنيا عن الزمن الذى يزعم أنها كتبت فيه ولعل أوضح دليل على ذلك قول «متى» على لسان المسيح: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الآب، والابن، والروح القدس» وأن هذا التثليث لم يناد به عيسى عليه السلام ولا أتباعه من الموحدين، وإنما أدخله بولس واستقر كعقيدة رئيسية لدى النصارى من خلال المجامع المسيحية كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه.

وأخيرًا - وليس آخرًا فإننا نتساءل مع غيرنا أيمكن أن تكون دعوة المسيح للأمم كلها لا دليل عليها إلا ثلاثة نصوص فقط أحدها فى إنجيل «متى» والثانى فى إنجيل «مرقس» والثالث فى إنجيل «لوقا» وهذه النصوص غير مسلم بها وإنما مختلف حولها؟ وهذا الاختلاف أصبح أمره معلوما ومتواترًا بين مجموع الباحثين من غربيين ومسلمين!!

أيمكن أن يجهل الناس أو يتجاهلوا، وأولهم تلاميذ المسيح أنفسهم مثل هذا الأمر لو حدث (أى دعوة جميع الأمم) فى أمة كالأمة الإسرائيلية تقوم عقيدتها وكيانها أصلاً على أساس عنصرى بالغ الضيق والتشديد ولا ينزعج له اليهود، ولا يدينونه عليه؟ بل يكتمونه عن الناس وهو أحرى أن يكون من أبلغ أعماله إثارة وضجة فيشيع ويشتهر، وتتواتر أخباره بما لا يسع أحدًا أن ينكره أو يشك فيه؟ ولكن لم يحدث أن أخذ أحبار اليهود على عيسى عليه السلام أنه دعا أو وصى أتباعه بدعوة غير بنى إسرائيل ولو رأوه أو سمعوه لأخذوا ذلك مبررًا لتكذيبه وقد كانوا يقفون له عند كل صغيرة وكبيرة من الأمور التى ظنوا أنه خالف فيها الناموس، وإذا كان البعض يذهب إلى أن الضرورة هى التى حولت رسالة عيسى من دعوة خاصة لبنى إسرائيل إلى دعوة عامة من بعده لأن بولس وإخوانه لم يكن فى وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر فى بنى إسرائيل لخلاصهم واستعادة ملكهم الذى قضى عليه الرومان أنفسهم فلا جرم أن تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية.

هكذا يعلل العقاد [1] - عالمية الدعوة إلى النصرانية بعد عيسى عليه السلام ونحن نقول على فرض صحة هذا الكلام إن هذه الضرورة قد انتفت بعد بعثة محمد ﷺ إلى الناس كافة، وإذا كان بولس قد حرف المسيحية بعد المسيح عليه السلام، وحولها من ديانة خاصة إلى ديانة عالمية. مستغلاً أهواء الذين دعاهم من اليونانيين وغيرهم - غير مكلف إياهم بشىء من مقتضيات الإيمان محرفًا تعاليم المسيح من أجل إرضائهم - فإنه وبعد مجىء محمد ﷺ داعيا الناس كلهم ومن ضمنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أصبح لا وجه لأحد فى أن يتمسك بنصرانيته فضلاً عن أن يدعو

(١) الإسلام دعوة عالمية للعقاد ص ١٢٩ .

إلى عالميتها خاصة وأن محمدًا ﷺ خاطب أهل الكتاب داعيًا إياهم إلى التصديق برسالته والدخول فى دين الإسلام. مذكرًا لهم بما هو موجود فى التوراة والإنجيل عنه من تبشير موسى وعيسى عليهما السلام به مناديًا إياهم كما أخبر القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فالإسلام بعد أن أعلنه محمد ﷺ دينا للبشرية جميعًا ناسخ لما قبله من الأديان بكتبها وشرائعها.

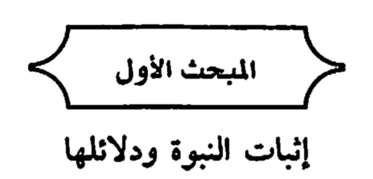
وكان يجب على النصارى أن يطرحوا ما هم عليه من اعتقاد باطل فى المسيح وأمه بعد أن بين الله عز وجل على لسان محمد ﷺ تنكب النصارى عن طريق الله المستقيم الذى سار عليه عيسى ودعا بنى إسرائيل إلى السير فيه وعلى منهاجه. أقول كان عليهم التصديق برسالة محمد ﷺ.

أما أن يظلوا على ما هم عليه من انحراف ويحادون الله ورسوله محاولين البقاء على النصرانية بل ونشرها برصد الأموال واستغلال حاجات الناس وفتنة المؤمنين والمؤمنات عن دينهم فهذا هو الباطل بعينه، وتلك هى محاربة الله ورسوله التى يجب على المسلمين أن يقفوا أمام من يقوم بها كل بقدر استطاعته حتى يحق الله الحق ويزهق الباطل ويتحقق قول الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣٣]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور :٥٥].

* * *

الفصل الثاني

إثبات نبوة محمد ﷺ وعموم بعثته



إثبات النبوة ودلائلها

اصطفى الله عز وجل محمدا ﷺ ليكون الرسول الخاتم للبشرية كلها، وهذا الاصطفاء والاجتباء منحة من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده الذين علم الله عنهم أنهم أهل للاصطفاء. وقد كان محمد ﷺ من هذا الطراز الفريد من البشر عرف بالصادق الأمين قبل البعثة، وبعد البعثة اتصف بمكارم الأخلاق ذلك أن الله صنعه على عينه فاجتمع فيه الخير كله كمالا وفى الخلق تكاملا.

وللعلماء فى إثبات نبوته مسالك متعددة يستدلون من خلالها على أنه رسول الله لإقناع الخصوم أو من يجادلون فى إثبات نبوته، وسوف نختار مسلكين ندلل من خلالهما على نبوته ﷺ.

المسلك الأول: ما يتعلق بأخلاقه.

المسلك الثانى: ما يتعلق بالمعجزات التى أيده الله بها.

ونبدأ بالمسلك الأول: أخلاقه ﷺ، ودلالتها على نبوته.

يقول الله عز وجل عن محمد وخلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم :٤].

ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة :١٢٨] .

كان ﷺ أحسن الناس خلقا، وأصدقهم حديثا وأبعدهم عن الفحش والأخلاق الدنيئة التى تدنس الرجال لقد اجتمع فيه من الصبر، والحلم،

والتواضع والجود والشجاعة ما تواتر عنه ﷺ حتى صار مضرب الأمثال فى مكارم الأخلاق وشهد له الأعداء بذلك والأصدقاء.

وهذه الأخلاق الفاضلة كانت صفاته عند أهل الكتاب فقد سئل عبد الله ابن عمرو بن العاص عن صفة النبى ﷺ فى التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥] وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينًا عميا وآذانًا صما وقلوبًا غلفا» (١).

هذه الصفات الأخلاقية الرفيعة جعلت السابقين الأولين إلى الإسلام يصدقون به ﷺ دون الحاجة منه إلى تقديم معجزة لهم حتى يؤمنوا يقول شارح الطحاوية: «فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم يقينا أنه ليس بشاعر ولا بكاهن» (٢). ولكن البعض بعد تلك المعرفة قد يعرض مع تيقنه من صدق محمد ﷺ وهذا ما كان من بعض كفار مكة مثل النضر بن الحارث حيث يقول لإخوانه من كفار مكة: قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر (٣) ومع ذلك أعرض وكفر عنادًا واستكبارًا من الصدق وصلة الرحم على أن الله لن يخزيه لأنه إذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن من القرائن فكيف

---

(١) رواه البخاري في البيوع - باب: كراهية الصخب في الأسواق رقم (٢١٢٥).
(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١١٠.
(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٢٦.

بدعوى المدعى أنه رسول الله؟ كيف لا يتميز الصادق فى ذلك من الكاذب بوجوه الأدلة؟ فلما قال لها ﷺ بعد أن نزل عليه الوحى: «لقد خشيت على نفسى». فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق فذكرت ما كان مجبولا عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم [١]. هنا لم تطلب السيدة خديجة معجزة حسية ولم يقدم لها الرسول معجزة وإنما الاستدلال على نبوته وصدقه فيما يقول يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بشخصيته ﷺ.

وكان هذا هو السبب فى تصديق أبى بكر، وزيد بن حارثة، وعثمان بن عفان والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وبلال بن رباح، وعامر بن فهيرة وغيرهم من الصحابة [٢]، والاستدلال بصفات النبى ﷺ وأخلاقه على صدق نبوته لم يقتصر على من هم فى داخل الجزيرة العربية وإنما تعدى ذلك إلى خارجها ولعل سؤال النجاشى ملك الحبشة يصلح دليلا على ما نثبته هنا فقد سأل النجاشى جعفر بن أبى طالب عن الرسول ﷺ **«فلما استخبرهم عما يخبر به، واستقرأهم القرآن فقرأوا عليه قال: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة** [٣] والذى خرج به النجاشى من الاستدلال على نبوته من واقع سيرته ودعوته هو ما يقوم به العقلاء و الحكماء الذين يرزقون البصيرة النافذة ويعلمون الرجال وما يفرقون به بين الصادق والكاذب.

---

(١) شرح الطحاوية ص ١١١/ ١١٢ .
(٢) الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية ص ٣٣ .
(٣) شرح الطحاوية ص ١١٢ .

وأرانى. مضطرا لذكر قصة هرقل ملك الروم واستدلاله من واقع صاحب الدعوة - أى محمد ﷺ والدعوة أى الإسلام الذى يدعو إليه ﷺ.

والمستجيبون للدعوة أى الصحابة الذين دخلوا الإسلام وكانوا مع النبى ﷺ وبعد أن سأل أسئلة محددة عن الرسول ونسبه وصدقه ووفائه ثم الدعوة وموضوعها والذى تأمر به وتنهى عنه.

ثم المدعوين وحالهم وصفاتهم ومدى تمسكهم بالدين الذى جاء به محمد ﷺ استنبط ما يحكم به العقل ويدل عليه دلالة قاطعة أن من يتصف بالصفات التى ذكرها أبو سفيان بن حرب لا يمكن أن يكون كاذبا قال هرقل لأبى سفيان: **«فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»** [(١)].

وقصة هرقل تتمثل فى أن النبى ﷺ أرسل كتابا مع «دحية الكلبى» إلى «هرقل» عظيم الروم فلما وصل الكتاب قيصر قال: انظروا لنا رجلاً من قومه نسأل عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش فى تجارة فجاءت رسل قيصر لأبى سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه فى القدس قال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقال أبو سفيان: أنا لأنه لم يكن فى الركب من بنى عبد مناف غيره. فقال قيصر: ادن منى ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف ظهره ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن

---

(١) رواه البخاري بدء الوحي جـ ١ ص ٦ .

هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه إذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب.

قال: هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبل؟ قال: لا.

قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم.

قال: فهل يزيدون أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون.

قال: هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ قال: لا.

قال: هل يغدر إذا عاهد؟ قال: لا ونحن الآن منه فى ذمة لا ندرى ما هو فاعل فيها (يشير إلى ما كان بين المشركين والنبى من صلح الحديبية).

قال: فهل قاتلتموه؟ قال: نعم.

قال: فكيف حربكم وحربه؟ قال: الحرب بيننا سجال مرة لنا ومرة علينا.

قال: فبم يأمركم؟ قال: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا وينهى عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق، والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة [(١)].

إلى هنا هرقل يسأل أبا سفيان أسئلة محددة وأبو سفيان يجيب أيضًا بالصدق عن صفات النبى وأصحابه وفحوى دعوته أى الإسلام وهرقل

---

(١) صحيح البخاري جـ ١ باب: بدء الوحي ص ٦/٧/٨ .

يستمع من خلال الترجمان ولا يعقب ثم نراه بعد ذلك يعيد الأسئلة والأجوبة ويقوم بتحليل لمضمونها واللازم لمن يتصف بها.

يقول هرقل: إنى سألتك عن نسبه فزعمت أنه ،يكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها.

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله.

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا فقلت: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل.

وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلت بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ فقلت: لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك هل قاتلتموه؟ فقلت نعم وإن الحرب بينكم وبينه سجال، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك: بماذا يأمر؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق، والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وسألتك: هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبى، وقد علمت أنه مبعوث، ولم أظن أنه فيكم وإن كان ما كلمتنى به فسيملك

موضع قدمى هاتين، ولو أعلم أنى أخلص إليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان: فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدرى ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال: لقد بلغ أمر ابن أبى كبشة أن يخافه ملك بنى الأصفر [(١)].

هذا ما كان من أمر هرقل وهو فى خارج الجزيرة العربية هذه الدلالات على صدق النبى استنبطها هرقل من طبيعة دعوته ومكارم أخلاقه. ومع أنه لم يؤمن إلا أن ذلك راجع إلى حب السيادة والجاه وآثر ذلك على متابعة الرسول ﷺ والدخول فى دينه وقد صرح هرقل بأن الخوف منعه من ذلك لما أظهره قومه من غضب وصياح كما فى رواية البخارى [(٢)].

ومن عجيب الأمر أن علماء الكلام يذكرون الاستدلال بشخصيته ﷺ ومكارم أخلاقه فى مرتبة متأخرة من الأدلة على النبوة ويولون المعجزات الحسية اهتماما زائدا على الرغم من الاعتراضات التى توجه إلى دلالة المعجزات الحسية على صدق الرسول ﷺ. نقرأ نصا «للتفتازانى» فى معرض استدلاله بأخلاق النبى ﷺ وصفاته على نبوته يقول: «**وقد يستدل أرباب البصائر على نبوته بوجهين:**

أحدهما: ما تواتر من أحواله قبل النبوة: وحال الدعوة وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة، وأحكامه وإقدامه حيث تحجم الأبطال ووثوقه بعصمة الله تعالى فى جميع الأحوال وثباته على حاله لدى الأهوال بحيث لم يجد أعداؤه مع شدة عداوتهم وحرصهم على الطعن فيه مطعنا، ولا إلى القدح

---

(١) رواه البخاري باب: بدء الوحي جـ ١ ومسلم في الجهاد والسير باب: كتاب ﷺ إلى هرقل.
(٢) البخاري باب: بدء الوحي جـ ١ ص٧/ ٨.

فيه سبيلا فإن العقل يجزم بامتناع اجتماع هذه الأمور فى غير الأنبياء.

ثانيهما: أنه ادعى ذلك الأمر العظيم بين أظهر قوم لا كتاب لهم ولا حكمة معهم وبين لهم الكتاب والحكمة وعلمهم الأحكام والشرائع وأتم مكارم الأخلاق وأكمل كثيرًا من الناس فى الفضائل العلمية والعملية ونور العالم بالإيمان والعمل الصالح، وأظهر الله دينه على الدين كله كما وعده ولا معنى للنبوة والرسالة سوى ذلك [١] ولعل عبارة التفتازانى تنبئنا عن قيمة هذا الدليل لديه ولدى إخوانه من المتكلمين حيث يقول بصيغة التضعيف التقليل «وقد يستدل» لأن معظم المتكلمين لا يتكلمون أساسًا على جانب الأخلاق وشخصية الرسول ﷺ كدليل على نبوته.

وقليل من المتكلمين [٢] يذكرون هذا الدليل على استحياء بعد أن يسوقوا المعجزة كدليل أوحد ومقدم على صدق الرسول ﷺ.

وكما يقرر أستاذنا الدكتور يحيى هاشم فى نقده لمسلك المتكلمين لتأخيرهم دليل أخلاقه وأحواله على نبوته بعد المعجزة ودلالتها.

يقول حفظه الله: ولعمرى ما الذى جعل علم الكلام يهمل كل هذه الدلالات مع غناها من حيث هى دلالة عادية إلا وهمه أنه يجد فى المعجزة دلالة أقوى لأنها ترتفع إلى مستوى الدلالة القطعية؟

أحسب أن علم الكلام فى هذا هو أشبه بوالد أهمل أولاده الكثيرين على نجابتهم وحسنهم وفضلهم لأنه ظن لسبب ما أن ولدا آخر له هو

(١) شرح التفتازاني على العقائد النسفية ط ص ١٨٩ .

(٢) انظر: مطالع الأنظار للأصفهاني شرح مطالع الأنوار للبيضاوي ص ٤٢٤ وانظر: المواقف وشرحها جـ ٨ ص ٢٥٩/ ٢٦٠ وانظر: شرح السنوسية الكبرى ص ٣٣٨ تحقيق الدكتور/ عبد الفتاح بركة وانظر المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٩٠/ ٢٠٥ .

أفضل منهم وأحسن وأنجب، وأن له قيمة تفوقهم أجمعين وأنه من شأنه أن يضفى على والده شرفا لا طريق بالآخرين إليه فانكشف بذلك شعاع أولاده ظلمًا دون أن يبزغ شمس المختار منهم [١].

هذا ما حدث بالفعل من المتكلمين خلا القليل منهم حين فضلوا الاستدلال بالمعجزات وبدءوا بها على حساب دلالة الأخلاق والأحوال التى لازمته ﷺ والتى بدلالتها آمنت خديجة بنت خويلد وورقة بن نوفل والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار بل وامتدت إلى خارج الجزيرة العربية كما حدث فى شأن هرقل. بل وأكثر من ذلك كانت أخلاقه هى السبب فى إسلام كثير من الناس خلال فترة دعوته ﷺ.

المسلك الثانى: المعجزات ودلالتها على صدق الرسول ﷺ:

المعجزة الكبرى الخالدة الباقية للرسول ﷺ القرآن الكريم. يقول الله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء :٨٨] .

ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء :٨٢] .

وقد تحدى الله العرب وغيرهم أن يأتوا بمثل القرآن أو سورة واحدة منه يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة :٢٣] .

وهذا التحدى هو أغرب تحد فى التاريخ لأن من زعم من العرب قديما

---

(١) الأسس المنهجية ص ٣٤٦ .

أن القرآن ليس من عند الله فليأت بمثله أو بسورة منه ومن زعم فى أى وقت من الأوقات ذلك إلى أن تقوم الساعة فعليه أن يأتى بمثله أو بسورة منه فإن التحدى قائم على وجه الدهر يقول القاضى عبد الجبار : «فإن قيل ما وجه الإعجاز فى القرآن؟ قلنا إنه تحدى العرب بمعارضته مع أنهم كانوا فى الغاية فى الفصاحة والمشار إليهم فى الطلاقة والذلاقة وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يعارضوه وعدلوا عنه لا لوجه سوى عجزهم عن الإتيان بمثله» [١] .

ويفصل العلماء الوجوه التى من أجلها كان القرآن معجزا وهذه الوجوه منها :

أولاً : نظمه على وجه مخصوص مفارق لجميع أوزان كلام العرب ونظمه وترتيبه وبلاغته وفصاحته على وجه جاوز فصاحة كل فصيح وبلاغة كل بليغ وكيف عجز العرب، وهم أهل الفصاحة والبلاغة عن أن يأتوا بسورة منه فى مدة ثلاث وعشرين سنة واختاروا الخروج بالسيف مع ما فيه من إراقة الدماء واستحلال النساء واسترقاق الأولاد على معارضة سورة واحدة وفى هذا من العجز الظاهر والنكول الواضح عن الإتيان بسورة منه [٢] .

ثانيًا : ما انطوى عليه من الإخبار بالغيوب واشتماله على قصص الأولين مع القطع بأنه ﷺ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب يقول تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت :٤٨] .

(١) الأصول الخمسة ص ٥٨٦ .

(٢) انظر : المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى الفراء ص ١٥٨/ ١٥٩ وانظر : الإنصاف للباقلاني ص ٦٢/ ٦٣ وانظر : نهاية الأقدام للشهرستاني ص ٤٤٩ .

ثم إخباره عن غيوب يعجز الخلق عن معرفتها مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥]، وكان الأمر كما أخبر الله على لسانه ﷺ.

وقوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح :٢٧] .

ومثل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ [الفتح :١٦] .

وقد دعاهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى قتال العرب والفرس والروم بعد وفاة النبى ﷺ (١) .

ومثل قوله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر :٤٥] . وقد ولى المشركون الدبر وهزم جمعهم بعد أن اجتمعوا لقتال النبى ﷺ فى بدر، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك يوم أن كان المسلمون مستضعفين فى مكة .

وبالجملة فلو نقب العاقل على ما فيه من الإخبار بقصص الماضين وأحوال الأولين على نحو ما وردت به الكتب السابقة؛ وما فيه من الأخبار عما تحقق بعدما أخبر به من الغائبات فإن ذلك يكون كافيا له فى معرفة إعجاز القرآن وصادًّا له عن المكابرة والبهتان (٢) .

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٨٥ .

(٢) انظر: بلوغ المرام للآمدي ص ٣٤٥ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحقيق حسن محمود عبد اللطيف .

ثالثًا: إذا كان القدامى قد استدلوا بوجوه على إعجاز القرآن من ناحية البلاغة والنظم وأيضًا من ناحية الإخبار عن الغيوب التى وقعت كما أخبر الله عز وجل فى القرآن فإن المحدثين من الباحثين يضيفون إلى تلك الوجوه وجوها أخرى لإعجاز القرآن تتمثل فى الكشوف العلمية الحديثة التى أخبر عن بعض منها القرآن الكريم ونحن لئلا نحمل القرآن الكريم ما لا يتحمله ينبغى أن نقرر أن مطابقة كلمات القرآن وألفاظه للكشوف الحديثة مبنية على أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن الأسرار الواقعة موضوع البحث فتوفرت لدينا مواد نافعة لتفسير الإشارات القرآنية فى ذلك الموضوع؛ ولو أن دراسة المستقبل فى موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليًا أو جزئيًا فليس هذا بضائر مطلقا صدق القرآن بل معناه أن المفسر أخطأ فى محاولته لتفسير إشارة مجملة فى القرآن [١].

وسوف نأخذ نموذجًا واحدًا من إعجاز القرآن فيما يتعلق بخلق الجنين.

من المعلوم أن محمدًا ﷺ كان أميًا، ولم تكن له أدنى معرفة بالعلوم والمعارف قبل الرسالة وبعد أن نزل عليه القرآن الكريم شاء الله لهذا الكتاب أن يكون المعجزة الخالدة الباقية إلى أن تقوم الساعة وقد احتوى القرآن الكريم على إشارات دقيقة عن مراحل نمو الجنين فى بطن أمه، والتساؤل الآن ما الذى أعلم محمدًا بتلك الحقائق، الذى أنفق الإنسان مئات السنين من التجارب والبحوث ليصل إليها؟ الجواب: هو الله -

(١) الإسلام يتحدى ص ١٩٣ .

ومن الممكن أن نأخذ من هذه الحقائق دلائل على وحدانية الله ونبوة محمد ﷺ، وإعجاز القرآن. كل هذه الدلائل تؤخذ من هذه الحقائق القرآنية التى تطابقت معها المعارف الحديثة ولابد أن نشير إلى أن صحيح المنقول - لا يتعارض مع صريح المعقول كما أشار إلى ذلك العلماء، وفى مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية وألف كتابه القيم «درء تعارض العقل مع النقل» حول هذا وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت :٥٣] .

ولنعرض الآيات ثم نرى استنباط الباحثين المتخصصين لها .

يقول الله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون :١٢-١٥] .

يقول البرفسور جونسون: القرآن أول مصدر يذكر أطوار الجنين ويصف المظهر الخارجى والعمليات الداخلية المتلاحقة فى الرحم كما أن وصف الرحم بأنه قرار مكين وصف دقيق، وقد كشف العلم الكثير من التفاصيل لهذا الوصف الجامع المعبر فالرحم للنطفة؛ ولمراحل الجنين اللاحقة سكن لمدة تسعة أشهر، وبالرغم من طبيعة الجسم التى تطرد أى جسم خارجى فإن الرحم يأوى الجنين ويغذيه، وللرحم عضلات رابطة تحمى الجنين داخله، ويستجيب الرحم لنمو الجنين ويتمدد بدرجة كبيرة ليتلاءم مع نموه فهو قرار له وقد جمع هذا اللفظ الذى وصف القرآن الكريم به الرحم كل الحقائق التى اكتشفها العلم لبيان مناسبة الرحم

لاستقرار الجنين فهو لفظ معبر جامع [(١)].

وهكذا قدم القرآن الكريم والسنة النبوية منذ أكثر من ألف عام مصطلحات تصف مراحل الجنين وهى منطبقة تمامًا مع قواعد تحديد المصطلحات فى ضوء معارفنا الحديثة وفى كل مرحلة قدم لها وصفا دقيقًا يشمل المظهر الخارجي وأهم أحداث الخلق فى تلك المرحلة [(٢)].

ما أثبته العلماء المتخصصون من تطابق المعارف الحديثة مع القرآن الكريم وحقائقه يمكن أن يستدل به لدى الملحدين، والماديين - على النبوة والرسالة لمحمد ﷺ لأنا نقول على سبيل المثال كما يقرر البروفسور «جونسون»: إن التطورات والأحداث التى تكلم عنها القرآن خلال مرحلة النطفة يستحيل كشفها بدون المجاهر الضخمة إذن فمن الذى أعلم محمدًا بها - إنه الله [(٣)]، إن أخبار القرآن الكريم عن كثير من التعبيرات التى كشف العلم من معانيها ما لم يخطر فى بال أحد من أهل العصر الذى نزل فيه يعد من المعجزات ومن معجزاته أيضًا أنه لم يثبت على توالى القرون بعد نزوله شيء قطعى ينفى شيئًا قطعيًا أخبر به - وهذا يدل على أنه من عند الله [(٤)]. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

المعجزات الحسية:

مع دلالة صدق المعجزة الكبرى الخالدة وهى القرآن الكريم على

---

(١) انظر: مجلة الإعجاز العلمي ص ٢٦/ ٢٧/ ٢٨ العدد الأول الطبعة الثانية شوال ١٤١٦هـ.
(٢) انظر: السابق.
(٣) نفسه ص ٢٩ وانظر: في إعجاز القرآن من الناحية العلمية الإسلام يتحدى وحيد الدين خان، وانظر: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاى وانظر: توحيد الخالق - للزندانى.
(٤) الوحي المحمدي ص ٣٥٥/ ٣٥٦.

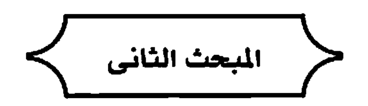
صدقه ﷺ فإن هناك معجزات حسية طلب بعضها المشركون كانشقاق القمر ووقع بعضها للنبى ﷺ، دون أن يطلبها منه أحد، كحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه وتسبيح الحصى بين يديه ﷺ.

يقول الإمام الجوينى فى لمع الأدلة: «**ولرسول الله ﷺ آيات ومعجزات سوى القرآن كانفلاق القمر، وتسبيح الحصى، وإنطاق العجماء، ونبع الماء من بين الأصابع ونحوها**» (١). وقد عدد الجرجانى فى شرحه على المواقف نحوا من ستة أنواع من هذه المعجزات الحسية الدالة على نبوته ﷺ مثل مشى الشجرة إلى النبى ﷺ ومنها حديث الظبية للنبى ﷺ وسؤالها له أن يستشفع لها عند الأعرابى لترضع خشفيها، ومنها كلام الناقة للنبى ﷺ وغير ذلك كثير... ثم يعقب على هذه المعجزات فيقول: «**كل واحدة من هذه المعجزات المغايرة للقرآن وإن لم تتواتر فالقدر المشترك بينها وهو ثبوت المعجزة متواترًا بلا شبهة وهو كاف لنا فى إثبات النبوة**» (٢). وذلك لأنها ليست فى وسع أحد من المخلوقات (٣).

ونحن مع صاحب المواقف وشارحها. فى أن هذه المعجزات كافية فى وقتها للدلالة على صدق النبى ﷺ كدلالة معجزة إبراهيم وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام فى الدلالة على نبوتهم... ولكن يبقى الاستدلال بأخلاقه وصفاته. مع المعجزة الخالدة وهى القرآن لهما قصب السبق فى الدلالة على صدق النبى ﷺ إن فى زمانه أو بعد عصره وإلى أن تقوم الساعة.

---

(١) لمع الأدلة ص ١١٢ تحقيق الدكتورة فوقية حسين.
(٢) انظر: المواقف لعضد الدين الإيجي وشرحها للسيد الشريف الجرجاني ص ٢٥٦/ ٢٥٧/ ٢٥٨.
(٣) بلوغ المرام للآمدي ٣٤٥.



المبحث الثانى

عموم بعثة محمد ﷺ وعالمية رسالته

المطلب الأول: نصوص الوحيين المثبتة لعموم البعثة:

شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يرسل محمدًا ﷺ على حين فترة من الرسل ليبلغ رسالة الله الخاتمة إلى الناس جميعًا والله أعلم حيث يجعل رسالته.

الآيات والأحاديث الدالة على عموم بعثته ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذه الآية تدل على أن محمدًا ﷺ. مبعوث إلى جميع الخلق وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ المراد جنس الناس لا كل فرد وإلا فمعلوم أن غير المكلف لا يدخل تحت الناس. وقد علم بالتواتر من دينه أنه كان مبعوثًا إلى كل العالمين (١)، وهى تدل ضمنا أنه مبعوث إلى الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم فقط (٢) وإلى هذا المعنى ذهب القاسمى فى محاسن التأويل (٣).

---

(١) انظر البرهان للزركشي ج ٢ ص ٢٢٦ والتفسير الكبير للرازي ص ١٦ .
(٢) تفسير البيضاوي ص ٢٢٥ .
(٣) محاسن التأويل للقاسمي ج ٥ ص ٢٧٩ - الناشر دار الفكر ببيروت .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ، يقول البيضاوى: أى لأنذركم يا أهل مكة ومن بلغه إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم المجودين وقت نزوله ومن بعدهم - فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمد ﷺ والإنذار ليس مختصًا بمن شافههم بالخطاب بل ينذرهم به وينذر من بلغهم القرآن [١]، وهذه الآيات وغيرها من السور المكية التى تتحدث عن عموم رسالته ﷺ تجابه المزورين من أهل الكتاب وغيرهم الذين يزعمون أن محمدًا ﷺ لم يكن يدور فى خلده وهو بمكة أن يمد بصره برسالته إلى غير أهل هذه القرية من ذيول الحرب التى شنوها قديما على هذا الدين وأهله وما زالوا ماضين فيها [٢].

ويقول عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا :٢٨] ، أى: رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وهى ظاهرة فى الاستدلال على بعثة محمد ﷺ [٣] للناس جميعًا.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان :١] .

ونحن نذكر هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر وإلا فالآيات كثيرة جدًا سواء منها المكى أو المدنى.

---

(١) تفسير البيضاوي والجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٨٣ .
(٢) ظلال القرآن جـ ٣ ص ١٣٧٩ - ١٣٨٠ .
(٣) الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٢٩٠ وروح المعاني جـ ٢١/ ٢٢ ص ١٤٢/ ١٤٣ .

وقد ورد أحاديث صحيحة بروايات متعددة تدل على عموم بعثة النبى ﷺ مختصًا بذلك دون غيره من الأنبياء والمرسلين جميعا منها:

ما رواه البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلى؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[١]، وما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون**»[٢]، يقول ابن حجر: وطريق الجمع بين رواية البخارى ورواية مسلم أن يقال لعله ﷺ اطلع أولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى[٣]، وما رواه الإمام أحمد ومسلم بسنديهما أن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار**»[٤]، ووجه الدلالة أنه لو لم يكن مرسلا إلى جميع الخلق ومنهم اليهود، والنصارى ما حكم على من لم يؤمن منهم برسالته بأنه من أصحاب النار ولذلك دعاهم ﷺ وأقام الحجة عليهم وعلى ملوكهم وأمرائهم بالرسائل التى أرسلها إليهم إن فى داخل

---

(١) فتح الباري جـ ١ ص ٤٣٦ كتاب التيمم .

(٢) رواه الإمام مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة شرح النووي ج ٣ ص - دار الفكر بيروت.

(٣) فتح الباري جـ ١ ص ٤٣٦ .

(٤) رواه الإمام مسلم جـ ١ رقم ١٥٣ .

الجزيرة العربية أو خارجها.

المطلب الثاني:

بشارة الكتب السابقة بمحمد ﷺ ودلالتها على عموم بعثته:

أخبرنا القرآن الكريم بأن محمدًا ﷺ. كان معروفا عند أهل الكتاب خاصة أحبارهم ورهبانهم. وأن فريقا منهم يكتمون الحق وهم يعلمون. وأيضًا فريق منهم علم الحق فصدع به وآمن وصدق نبوة محمد ﷺ.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٢٠].

ويقول سبحانه على لسان عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الممتحنة:٦].

هذه الآيات جميعها تقرر أن أهل الكتاب عندهم علم بمحمد ﷺ لأن أنبياءهم بشروا به، وعلى الرغم من التحريف الذى لحق بالتوراة والإنجيل إلا أن علماء الإسلام نشطوا فى استنباط بعض الأدلة من كتب اليهود والنصارى تدل على بشارة الأنبياء به وهذه الأدلة يفهم منها عموم بعثته ﷺ للناس جميعا وتدل على كونه خاتم الأنبياء.

ورد فى أشعياء: «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد غيرة رب الجنود تصنع هذا»[(١)].

هذا النص يشير إلى النبى ﷺ وعموم بعثته وختم نبوته من وجوه عدة هى:

أولاً: قوله «وتكون الرياسة على كتفه» يقصد بها خاتم النبوة الذى على كتف النبى محمد ﷺ وقد جاء فى النسخ القديمة «والشامة على كتفه» والنبى هو الذى رياسته على عاتقيه وبين منكبيه إشارة إلى ختم النبوة وإلى السيف الذى كان يعلقه ﷺ على عاتقه.

ثانيا: قوله «أبا أبديا رئيس السلام» وفى النسخ القديمة «أركون السلام» والأركون هو العظيم محمد ﷺ وهو صاحب الشريعة الأبدية التى لم تنسخ، وهو الذى أقر السلام فى العالم ونشره.

وقد وردت الفقرة السابقة من هذه البشارة فى طبعة لندن ١٨٢٢ م هكذا ليكثر سلطانه وسلامه ليس له فناء على كرسى داود وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالإنصاف والعدل منذ الآن وإلى الأبد».

وهذه الصفة إشارة إلى ختم النبوة لأن الذى سلطانه إلى الأبد لا ينسخ شرعه لعدم الحاجة إلى شرع آخر غيره، ومعنى جلوسه على كرسى داود وراثته بنى إسرائيل ونبوتهم وملكهم ورياستهم ولم يحصل هذا لغير

---

(١) سفر شعياء الإصحاح التاسع فقرة ٦/ ٧ .

محمد ﷺ بل هو صريح الدلالة عليه.

ثالثًا: إن هذه الأوجه جميعا التى اشتمل عليها النص السابق. صريحة فى محمد ﷺ فهو الذى كان بين كتفيه خاتم النبوة وهو الذى كان مؤيدًا منصورًا على الأعداء وهو الذى نشر السلام فى الأرض أما المسيح فلم يسلط على أحد بل تسلط عليه اليهود والرومان ثم إن الأناجيل تنسب للمسيح قوله **«لا تظنون أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا»** [١].

فهو على حسب هذا القول لم يأت لنشر السلام الذى نشره محمد ﷺ [٢]. ومن ثم تكون هذه النصوص خاصة بمحمد ﷺ. دالة على نبوته وعموم رسالته ﷺ.

* * *

(١) إنجيل «متى» ١٠/ ٣٤ .

(٢) انظر: بالتفصيل بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ د/ محمد خليل ملكاوي الطبعة الأولى ١٩٩٣م مطابع الفرزدق الرياض ص٢٦١/ ٢٦٢/ ٢٦٣ .

المبحث الثالث

حاجة البشرية إلى الرسالة الخاتمة

فى الوقت الذى بعث الله فيه محمدًا ﷺ كان العالم فى أمس الحاجة إلى الصوت الأخير المتمثل فى الإسلام، فقد كانت المجتمعات كلها تتخبط خبط عشواء، وكل شىء فى العالم ينبئ عن الاضطراب ولسان حاله يقول هل من منقذ؟ هل من مخلص؟ ولم يكن شىء سوى الإسلام لينقذ العالم من الاضطراب والبشرية من الهلاك المدمر، فالإسلام الرسالة الخاتمة هو دواء هذا الداء الذى استشرى فى كل مكان، ولم يكن فى منطقة دون منطقة [١]. كانت البشرية تتطلب إنقاذًا سريعا يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن ضيق الظلم إلى رحابة العدل. وكان هذا المنقذ هو الرسول ﷺ الذى ظهر فى وسط شتات من البشر. اعتقدوا فى أديان حرفت وبدلت فانقلبت على أعقابها وذهبت ببهاء الدين النازل من عند الله، بعد أن حرفه الأتباع وبدلوه وقد أجاد العلامة أبو الحسن الندوى فى وصف الحالة التى عليها العالم وقت بعثة النبى مظهرًا مدى حاجة البشرية إلى الرسالة الخاتمة يقول: «**بعث محمد ﷺ فوجد مجتمعًا هو الصورة المصغرة للعالم، كل شىء فيه فى غير محله أصبح الذئب راعيًا، والخصم الجائر قاضيًا، وأصبح الصالح فيه محرومًا شقيا بينما المجرم سعيدًا حظيًا. رأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا وعباد الله أرقاء، ورأى الأحبار والرهبان من**

(١) مطلع النور ص ٢٦ للأستاذ العقاد منشورات دار الآداب بيروت ضمن مجموعة العبقريات .

اليهود والنصارى أصبحوا أربابا من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. لذا كان الجميع فى حاجة إلى من يأخذ بأيديهم فلم يكن خطابه لأمة دون أمة ووطن دون وطن، ولكن خطابه للنفس البشرية وللضمير الإنسانى وكانت أمته العربية لانحطاطها وبؤسها أحق أن يبدأ به مهمته الإصلاحية وجهاده العظيم» [1].

هذا الوصف الدقيق يعطى صورة مجملة عما كان عليه العالم الذى علم الله أنه فى أمس الحاجة إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط الله العزيز الحميد، والله أعلم حيث يجعل رسالته . . . فكان محمد الرسول وكان الدين هو الإسلام بوسطيته وشموله وعدله ورحمته.

وسوف نعرض وصفًا موجزًا لبعض الأمم وقت الرسالة، حتى نتبين مدى الحاجة والضرورة إلى الرسالة الخاتمة للعالم كله.

المطلب الأول: حال الأمم وقت البعثة:

أ - أمة العرب:

ليس هناك أفضل من وصف العرب قبل الإسلام، إلا أنهم كانوا فى ضلال مبين يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة :٢] . وذلك الضلال يتمثل فى عبادتهم الأصنام والأوثان من دون الله واعتبارهم إياهم شفعاء، وابتغاء الرزق عندهم، ومن وأد البنات

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٨٢ بتصرف .

وشرب للخمر ولعب للميسر حتى قال قائلهم:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العازلات بشربة كميت متى تعل بالماء تزبد

هذا فضلا عن العصبية الجاهلية التى لا تتوقف عند قتال القبائل بعضها لبعض بل قال أحدهم:

وأحيانًا على بكر أخينا إذا لم نجد سوى بكر أخانا.

وكثير من أمراض العالم من حولهم حلت بهم إن من الناحية الاجتماعية أو السياسية والاقتصادية، خاصة فيما يتعلق بالربا الذى كان شائعًا عند العرب خاصة المجاورين منهم لليهود، ومعلوم ما يفعله الربا بالجميع، وما يقوم به المرابى من ظلم.

كل هذه الأمور كانت تجعل من الرسالة الخاتمة لهذه الأمة ضرورة حتمية ليخرجوا من الظلمات إلى النور.

ب - أمة اليهود:

اليهود غلاظ القلوب ديدنهم الفساد فى الأرض يعيشون فى ظل عقيدة لديهم يعاملون الناس على أساس منها، تتمثل هذه العقيدة فى كونهم شعب الله المختار وهم فضلا عن ذلك أبناء الله وأحباؤه ومجتمعهم مجتمع مغلق لا يدخلون فيه إلا اليهودى لأن الدين والجنسية عندهم شىء واحد [١].

ومعلوم أن شريعتهم التى حرفوها وبدلوها تفرق بين ما هو منهم، وما هو من غيرهم فنراهم يحرمون الربا فيما بينهم [٢] بينما يستحلونه مع

(١) نحو مجتمع إسلامي - سيد قطب ص ١٣٢ دار الشروق.
(٢) سفر التثنية الإصحاح ١٥ الفقرة ٧/ ٩ وسفر اللاويين الإصحاح الخامس والعشرين الفقرة ٣٢/ ٣٩ وانظر: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص ٣٦.

غيرهم، وغير ذلك كثير من خروجهم عن منهج الله عز وجل. ثم هم فى الوقت نفسه كانوا ينتظرون النبى الخاتم وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا، وذلك قبل مبعثه ﷺ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على اليهود، والكافرين.

كل هذه الخصال الذميمة التى اجتمعت فيهم لا تؤهلهم كافة ولا يؤهلهم دينهم الذى حرفوه وبدلوه لأن يكون دينًا عالميًا يقدم الحلول للبشرية ومشكلاتها المعقدة فكان لابد من الرسالة الخاتمة.

ج - أمة النصارى:

كانت النصرانية فى البداية تدعو إلى التوحيد، ثم استحالت بعد المسيح عليه السلام إلى ديانة وثنية. وأدى ذلك إلى اختلاف فرقها اختلافًا أودى بالانقسام الحاصل بين أتباعها إلى اليوم ثم إن النصرانية ليس لها شريعة تنظم المجتمع النصرانى فضلا عن سلطة القساوسة والرهبان الذين يحلون ويحرمون ويأكلون أموال الناس بالباطل ولذلك لا يصلح الدين النصرانى لقيادة البشرية إلى قيام الساعة، فكان لابد من الإسلام بعالميته وشموله وصلاحيته لكل زمان ومكان.

المطلب الثانى: بعض خصائص الرسالة الخاتمة:

بعد أن استعرضنا نماذج من الأمم الموجودة قبل الإسلام نخرج بنتيجة لازمة، تتمثل فى أن الكون كله كان فى انتظار رسول. هذا الرسول الخاتم استحقت رسالته الخلود ودعوته العالمية للخصائص التى تميزها عن الأديان السابقة اليهودية والنصرانية والديانات الوضعية كالفارسية والهندية، هذه الخصائص تتمثل فى الآتى:

أولا: التوحيد الخالص:

جاء محمد ﷺ فدعا إلى التوحيد الخالص، الذى نادى به الأنبياء من قبله يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٢٥] .

ويقول عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

هذا التوحيد الخالص الذى ينفى الوسائط بين الله عز وجل وبين عباده فلا أصنام، ولا أوثان، ولا أحبار، ولا رهبان يحللون ويحرمون، ويعطون ويمنعون بل الكل يتوجه إلى الله فى عبادته والكل يسأل الله بلا وسيط ولا شفيع، والكل أمام الله سواسية لا فضل لعربى على عجمى إلاّ بالتقوى والعمل الصالح.

جاء محمد ﷺ بالإسلام الذى نادى بالأصول العقدية فى دين الله الواحد واستبقى الصالح من المبادئ والتشريعات والنظم فى الرسالات السابقة، وأكمل الناقص منها وأتمه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣][١].

إنه الدين الكامل التام الذى لا يجزئ الإنسان بين إلهين اثنين إله الخير والنور، وإله الظلم والشر كما فى المجوسية إنه الدين الذى يفسر للإنسان كل القضايا الكبرى التى تشغل باله فى كل زمان ومكان مثل قضية الألوهية قضية الكون، وقضية الإنسان، وقضية النبوة وقضية المصير،

(١) انظر: نحو مجتمع إسلامي ص ١١٠ - سيد قطب دار الشروق .

وإن نظرة على كل مشكلة من تلك المشكلات فى الأديان السابقة على الإسلام ترينا الفرق الشاسع والبون البعيد بين نظرة الإسلام وكماله وتمامه وبين نظرة هذه الأديان.

إنه الدين الكامل الذى يخاطب كل ملكات الإنسان ويأخذ منها دليلا وشاهدا على صدقه إذا تخلص هذا الإنسان من أهوائه وميوله وتجرد للحق وطلبه إنه الإسلام الذى يخاطب الفطرة الإنسانية ويخاطب العقل والوجدان والشعور (١).

إنه الدين الذى يطلب من الجميع أن ينضووا تحت لوائه ويأخذوه بشموله فلا يؤمنون ببعضه ويكفرون بالبعض الآخر.

إنه الإسلام الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] .

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران :٨٥] .

ثانيا: الشريعة العادلة:

استحق الإسلام دون غيره أن يكون الرسالة الخاتمة والشريعة الخالدة العادلة فليست أحكامها لأمة دون أمة، ولا مبنية على أعراف قوم مخصوصين أو عوائد زمن محدود بل هى مبنية على الفطرة التى لا تتغير بالزمان أو المكان، ومن ثم لزم أن تكون تلك الشريعة أحكامها صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان (٢).

---

(١) الخصائص العامه للإسلام ص ١١٣/ ١١٤/ ١١٥ .
(٢) مبادئ الإسلام للمودودي ص ١٦١ .

ثم إن الشريعة التى جاء بها الإسلام جاءت وسطًا مستمدة تعاليمها من الله العليم الخبير، فهى وسط فى التحليل والتحريم بين اليهودية التى أسرفت فى التحريم بسبب الظلم الحاصل من أتباعها يقول تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء :١٦٠-١٦١] .

وجاءت وسطًا أيضًا بين المسيحية كما آلت إليه والتى أسرفت فى الإباحة حتى أحلت الأشياء المنصوص عليها فى التوراة. مع أن الإنجيل صرح بأن المسيح لم يجئ لينقض ناموس التوراة بل جاء ليكمله ومع هذا أعلن «بولس» ومن بعده أتباعه بأن كل شىء طاهر للطاهرين [(١)] .

على العكس من ذلك جاءت الشريعة بمنع الغلو فى الدين وإبطال جعله تعذيبًا للنفس بإباحة الطيبات والزينة بلا إسراف ولا كبرياء يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف :٣١-٣٢] .

والقرآن ينهى أهل الكتاب عن الغلو فى الدين يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء :١٧١] .

والمسلمون أولى بالنهى من أهل الكتاب؛ لأن الإسلام دين الرحمة واليسر وهو مصداق لقول النبى ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة» [(٢)] .

(١) الخصائص العامة للإسلام ص ١٤٦ .

(٢) الوحي المحمدي - ص ٢٦٨/ ٢٦٩ محمد رشيد رضا - الطبعة التاسعة المكتب الإسلامي بيروت .

وقد لخص الإمام محمد عبده رحمه الله العدالة التى لم يشهد التاريخ مثالا لها فى قوله: كانت الأمم تطلب عقلا فى دين فوافاها، وتتطلع إلى عدل فى إيمان فأتاها فما الذى يحجم بها عن المسارعة إلى طلبتها، والمبادرة إلى رغيبتها؟

كانت الشعوب تئن من ضروب الامتياز التى رفعت الطبقات بعضها على بعض بغير حق، وكان من حكمها أن لا يقام وزن لشئون الأدنين متى عرضت دونها شهوات الأعلين فجاء دين يحدد الحقوق، ويسوى بين جميع الطبقات فى احترام النفس والدين والعرض والمال، ويسوغ لامرأة فقيرة غير مسلمة أن تأبى بيع بيت صغير بأية قيمة لأمير عظيم مطلق السلطان فى قطر كبير، وما كان يريده لنفسه ولكن ليوسع به مسجدًا فلما عقد العزيمة على أخذه مع دفع أضعاف قيمته رفعت الشكوى إلى الخليفة فورد أمره برد بيتها إليها مع لوم الأمير على ما كان منه، عدل يسمح ليهودى أن يخاصم مثل على بن أبى طالب أمام القاضى وهو من نعلم من هو؟ ويستوقفه معه للتقاضى إلى أن قضى الحق بينهما [١].

هذا جزء يسير من عدالة الشريعة بين المسلم والمسلم، وبينه وبين غير المسلم ولنعرض هذا النموذج الفذ فى ظل الحكم الإسلامى لنبرهن به على عدالة الشريعة التى يحتكم إليها المسلمون من جهة ومن وجهة أخرى نرد على العلمانيين وأشباههم الذين يصفون الحكم الإسلامى مما هو منه براء.

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٨٨ - الناشر دار المعارف.

يقول السير توماس أرنولد: لما حشد الإمبراطور هرقل جيشًا ضخمًا لصد قوات المسلمين كان لزاما على المسلمين نتيجة لما حدث أن يركزوا كل نشاطهم فى المعركة التى أحدقت بهم فلما علم بذلك أبو عبيدة أمر بأن يرد على أهل الذمة ما أخذ منهم من جزية وكتب إلى النصارى قائلا: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذ منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم فما كان من النصارى إلا أن دعوا بالبركة لرؤساء المسلمين وقالوا: «**ردكم الله علينا ونصركم عليهم**» أى: على الروم، فلو كان هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شىء بقى لنا [١].

وهذا غيض من فيض، ملئت به كتب التاريخ وتناقلها المحب والمبغض، ونظرا لعدالة هذه الشريعة استحق الإسلام أن يكون الدين الخاتم وأن يكون للعالمين كلهم حيث لا تصلح شريعة اليهود، ولا تعاليم النصارى ولله الحجة البالغة على الناس جميعًا.

ثالثًا: الشمولية والوسطية:

إن الإسلام كدين خاتم، لابد أن يكون شاملا فهو يحكم الإنسان وتصرفاته فى كل حالاته فى خاصة نفسه وفى علاقته بربه وفى صلة الإنسان بأسرته وبمجتمعه الذى يعيش فيه وعلاقات الدول بعضها ببعض. الإسلام ينظم كل هذه العلاقات، وذلك ببيان الأصول والمبادئ العامة

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٧٩ .

التى تقوم عليها والقواعد والقوانين والنظم التى تحكمها على اختلاف أنواعها [١].

ثم إن الإسلام من ناحية أخرى متسق مع حقائق العلم، ولا اختلاف مع منطق الفكر وأهم ما يميز الإسلام هو الوسطية بين مطالب البدن، ومطالب الروح، بين مصالح الدنيا وسعادة الآخرة وهذا معنى جعل أمة الإسلام أمة وسطًا.

يقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة :١٤٣] .

فأمة الإسلام أمة وسط بين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد كالهندوس ورهبان النصارى، وبين الذين يغلب عليهم التعالى والمنافع المادية كاليهود [٢].

بهذا الشمول وتلك الوسطية امتاز الإسلام عن غيره من الأديان بأن يكون الخاتم وأن يكون للعالم كله وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٧] .

* * *

(١) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ٥٧/ ٥٨ .

(٢) الوحي المحمدي ٢٦٧ .

الفصل الثالث

شبهات أهل الكتاب حول عدم عموم البعثة المحمدية والرد عليها

تمهيد:

بعد أن استعرضنا فى المباحث السابقة، إثبات نبوة محمد ﷺ ثم إثبات عموم رسالته، مستدلين بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وبعد بيان الحاجة والضرورة لعموم البعثة والخصائص التى خص الله بها دين الإسلام، ليتناسب مع كل زمان ومكان نعرض هنا شبهات بعض أهل الكتاب ومجادلتهم لعلماء الإسلام فى عدم عموم بعثة النبى ﷺ.

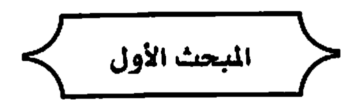
وبالرغم من النصوص التى قدمناها إلا أننا رأينا فريقًا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى يزعمون أن دعوة محمد ﷺ كانت خاصة بالعرب دون أهل الكتاب وينبغى أن نقرر أنه ليس كل اليهود والنصارى يقولون هذا فإن اليهود والنصارى الغالب الأعم منهم ينكرون أصل بعثة النبى ﷺ والبعض منهم يقرون بنبوة محمد ﷺ ولكن يقصرون دعوته إلى العرب وحدهم وعلماء الفرق والمقالات والعقيدة يذكرون فرقة من فرق اليهود تدعى العيسوية ويجمعون على أن هذه الفرقة دون فرق اليهود [١]، يعترفون بنبوة محمد ﷺ ولكن إلى العرب وحدهم ونلاحظ أن هذه الفرقة قديمة وليس لها امتداد فى العصر الحاضر فيما نعلم أما ما يتعلق بالنصارى. فإنهم لا يسمون فرقة بعينها كما عند اليهود ولكن يذكرون شبهة بعض النصارى بناءً على الرسائل التى أرسلت من قساوسة النصارى ورهبانهم إلى علماء الإسلام. وفيها يحتج هؤلاء النصارى بآيات من

(١) هناك فرقة أخرى تدعى الموشكانية تقول بمثل ما تقول العيساوية ولكن ليس لها كثير ذكر عند علماء العقيدة والمقالات مما جعلنا نكتفي بالعيساوية لشهرتها من جهة ولأن آراء الموشكانية هي نفس آراء العيساوية - انظر: في الموشكانية الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٣، والملل والنحل جـ ٢ .

القرآن، يزعمون أنها تدل على أن رسالة محمد ﷺ كانت إلى العرب فقط دون غيرهم من هذه الرسائل ما أورده «القرافى» فى (الأجوبة الفاخرة) و«ابن تيمية» فى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) الذى ألفه للرد على هذه الأسئلة التى وردت له من «قبرص».

ونلاحظ أن هذه الشبهات لها امتداد عند بعض النصارى المعاصرين سواء منهم العرب أو غير العرب من المستشرقين، وسوف نعرض شبهة اليهود متمثلة فى فرقة العيسوية، وشبه النصارى متمثلة فى البعض منهم الذين يثيرون هذه الشبهات مجادلين بها علماء الإسلام قديمًا وحديثًا مما يجعلنا نولى اهتمامًا أكبر لشبهات النصارى والرد عليها على اعتبار أنهم يرتبون على شبهاتهم أمورًا تتمثل فى عدم الإيمان بمحمد ﷺ كرسول للعالمين وأيضًا دعوتهم إلى عالمية الملة النصرانية تحت زعم أنها الرسالة العالمية للناس كلهم كبديل عن الإسلام.

* * *



شبهة العيسوية من اليهود على عدم عموم بعثته ﷺ والرد عليها

العيسوية من اليهود تنسب إلى رجل يدعى «أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى» وقيل اسمه «عوقيد ألوهيم» أى: عابد الله.

ابتدأ دعوته فى آخر حكم ملوك بنى أمية واتبعه بشر كثير من اليهود وزعموا أن له آيات ومعجزات [(١)]، وزعم هو وأتباعه أن محمدًا وعيسى عليهما السلام نبيان صادقان وأنهما أرسلا إلى قومهما ولم يرسلا بتبديل شريعة موسى [(٢)]. ولا نعلم تفصيلاً لشبهاتهم غير هذا الادعاء فقط فعلى سبيل المثال لم يزد صاحب «الفرق بين الفرق» فى عرضه لشبهات العيسوية عن قوله: «إنهم يقرون بنبوة نبينا محمد ﷺ وبأن كل ما جاء به حق ولكنهم زعموا أنه بعث إلى العرب لا لبنى إسرائيل» [(٣)]، بهذا الإيجاز تحدث أصحاب الفرق عنهم.

الرد على تلك الشبهة:

تناول علماء الإسلام الرد على دعوى العيسوية وكانت ردودهم تنطلق من اعتراف العيسوية بنبوة محمد ﷺ بداية يقول القاضى عبد الجبار: «أما الذين قالوا إن محمدًا كان مبعوثًا إلى العرب من دون سواهم فإن الكلام عليهم،

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٤٦ بهامش الفصل لابن حزم الأندلسي .
(٢) التمهيد للباقلاني ص ١٣١ انظر في عرض شبهتهم - المعتمد في أصول الدين ص ١٥٨/١٥٩ والقاضي عبد الجبار الأصول الخمسة ص ٥٨٣ وشرح السنوسية ص ٣٧٤ .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٢/١٣ .

هو أن نقول لهم: إنه ﷺ إذا ادعى أنه مبعوث إلى الكافة ثم صدقه الله تعالى بالأعلام المعجزة فإنه لابد أن يكون مبعوثًا إلى الأحمر والأسود»[١].

ونفس المنهج سار عليه «الباقلانى» فى التمهيد. فقد عقد للرد على العيسوية الذين يزعمون أن محمدًا وعيسى عليهما السلام إنما بعثا إلى قومهما ولم يبعثا بنسخ شريعة موسى عليه السلام يقول: يقال لهم: إذا أوجبتم تصديق محمد وعيسى عليهما السلام فى قولهما إنهما نبيان من عند الله فيجب تصديقهما فى كل ما جاءا به، وما جاء به محمد ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، فإن قالوا نحن لا نكذب محمدًا فيما جاء به وإنما نكذب أمته فى ادعائهم عليه ذلك فالكذب واقع من ناحية الأمة ولم يقع من جهته يقال لهم إذا جاز الكذب على المسلمين فى هذا الخبر الذى يدعونه على محمد ﷺ فلم لا يجوز الكذب فى جميع ما نقلوه عنه وفى نقلهم معجزاته؟ ولم لا يجوز ذلك على اليهود أيضًا، ونقله البلدان والسير وهذا يعود إلى إبطال القول بالأخبار جملة[٢]، وما ذهب إليه «الباقلانى» من باب إلزامهم بالحجة العقلية التى لا يجدون مفرًا من التسليم بها.

وهذا الإلزام وجدناه عند «الآمدى» فى غاية المرام عند مناقشته للعيسوية يقول: إنه يمتنع عليهم بعد التسليم بصحة رسالته وصدقه فى دعوته إلا الإذعان لكلمته إذ لا سبيل إلى القول بتخصيص بعثته إلى العرب دون غيرهم من الأمم مع ما اشتهر عنه وعلم بالضرورة والنقل

---

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٨٣ .

(٢) التمهيد ص ١٤٧/١٤٨ بتصرف .

المتواتر من دعوته إلى كلمته طوائف الجبابرة وغيرهم من الأكاسرة وتنفيذه إلى أقاصى البلاد وملوك العباد وقتال من عانده ونزال من جاحده ثم ذلك معتمد على سند الصدر الأول من المسلمين، مع علمنا بأن ذلك الجم الغفير والجمع الكثير ممن لا يتصور عليهم التواطؤ على الباطل عادة ولو لم يكن نبيًا على العموم لزم أن يكون قد كذب فى دعواه وأبطل فيما أتاه وذلك محال فى حق الأنبياء وحق من ثبت عصمتهم بالمعجزات وقواطع الآيات [١].

وهذه الإلزامات تستند على نقطة التصديق بداية بالنبى ﷺ ثم بناء سائر الأحكام عليها وهنا نلاحظ التناقض من جانب العيسوية المتمثل فى تصديق جانب وتكذيب جانب آخر مع أن الطريق إليهما واحد.

ولذلك يقول شارح السنوسية عمن أقر بنبوة محمد ثم كذب فى كونه رسولا إلى العرب وغيرهم: «**فإقرارهم بنبوته ثم تكذيبه فى أنه رسول لجميع أهل الأرض لا يخفى تناقضه لكل عاقل**» [٢]، وقد صدق فيما قاله عن العيسوية وغيرهم ممن يصدقون كونه ﷺ نبيًا إلى العرب ويكذبون كونه مبعوثًا إلى كافة الخلق.

* * *

(١) غاية المرام ص ٣٥٩/ ٣٦٠ .

(٢) شرح السنوسية ص ٣٧٦ وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص ٣٥٧ .

المبحث الثانى

شبه النصارى فى إنكار عموم بعثة محمد ﷺ والرد عليهم

إذاكانت فرقة العيسوية من اليهود لم تفصل فى شبهتهم حول عموم بعثة محمد ﷺ قد وجدنا بعض النصارى يثيرون الشبهات ويفصلون فيها ويستدلون بآيات من القرآن الكريم تثبت فى زعمهم خصوصية رسالة النبى ﷺ إلى العرب خاصة.

ووجدنا علماءهم وأحبارهم يراسلون أئمة المسلمين بكتب يعترضون فيها على دعوتهم للإسلام بناءً على زعمهم أن محمدًا ﷺ لم يرسل إليهم من تلك الرسائل ما ذكره «القرافى» فى الأجوبة الفاخرة حيث يقول: «**إن بعض النصارى أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيرًا إلى أن غيره هو القائل وأنه هو السائل مشتملة على الاحتجاج بالقرآن على صحة مذهب النصرانية**»[١].

ويبدو أن هذه الرسالة نفسها أرسلها النصارى إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وفيها الاحتجاج بالآيات القرآنية التى أوردها النصارى من قبل القرافى.

وهذه الرسائل كانت ترد من «قبرص» وفيها يقول صاحبها بعد أن استدل ببعض الآيات على عدم عموم رسالة النبى ﷺ يقول: «**فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب الذين قال إنهم لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله وأنه لا يلزمنا اتباعه لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا**

---

(١) الأجوبة الفاخرة ١١ - ١٢ .

بألسنتنا وأنذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به إلى يومنا هذا وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغتنا على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذى أتى به هذا الرجل حيث يقول فى سورة إبراهيم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم :٤]».

وينتهى صاحب الرسالة «القبرصية» إلى أن «الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله» (١).

وهذه الشبهة ظلت تتناقل بين النصارى ووجدنا ترددا لها فى العصر الحديث حيث ذهب بعض النصارى مذهب إخوانهم من قبل، فى قصر بعثة الرسول ﷺ إلى العرب فقط فقد زعم بعضهم: «أن معجزة محمد الحقيقة هى بخاصة إقامة وحدة عربية تحت سلطان سياسى دينى عربى قومى» (٢)، ويستدل هذا النصرانى العربى بآيات من القرآن الكريم للتدليل على زعمه هى فى مجملها نفس الآيات التى استدل بها علماء النصارى قديمًا فى جدالهم مع المسلمين.

ونفس هذه الشبهة وجدناها تأتى من بعض النصارى العرب المقيمين فى الخارج وفيها يزعم بعضهم أن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية كان من عمل عمر بن الخطاب الذى يسمونه عمر المستعمر العربى وأن نشر الإسلام خارج جزيرة العرب لم يكن داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية لأن محمدا لم يفكر فى دعوة أحد غير العرب إلى الإسلام (٣).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ط ١ ص ٣٢١ .
(٢) القرآن والمبشرون محمد عزة دروزة ص ٢٦٨ - الناشر المكتب الإسلامي بيروت .
(٣) الإسلام دعوة عالمية للعقاد ص ١٢٧/١٢٨ وانظر مجلة الأزهر عدد يوليو ١٩٦١م .

وإذا تركنا النصارى العرب فى الداخل والخارج فإننا نجد كثيرًا من المستشرقين يرددون هذا الادعاء من أمثال «السير وليم موير» الذى ذهب إلى أن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها . لم يفكر فيها محمد نفسه وعلى فرض أنه فكر فيها . فقد كانت فكرته غامضة فإن عالمه الذى كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها وأن محمدًا منذ أن بعث إلى أن مات لم يوجه دعوته إلا للعرب فقط [(١)].

«وونسنك» الذى يزعم أن القرآن ليس فيه ما يدل على أن الإسلام رسالة عالمية وأن محمدًا مبعوث إلى قومه خاصة [(٢)]، ونستطيع أن نجمل شبه النصارى قديمًا وحديثًا حول خصوصية رسالة محمد ﷺ إلى العرب فقط فى ثلاث شبه:

المطلب الأول:

زعمهم أن رسول الله ﷺ بعث إلى العرب خاصة استنادًا على بعض آيات القرآن الكريم:

يستدل بعض النصارى بآيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:٣]،

---

(١) انظر: هامش الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ للسير توماس أرنولد .

(٢) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق ص ١٠٢ وهذا الكتاب فيه رصد لكثير من آراء المستشرقين حول الإسلام بوجه عام وآرائهم حول عالمية الإسلام بوجه خاص وفيه تفنيد لمزاعمهم - انظر من ص ٨٩ - ١١٠ نشر المنتدى الإسلامي بلندن ١٤١٤هـ .

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة :٢] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :٣] ، وبعد أن يستعرضوا هذه الآيات وغيرها يقولون: «لما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب الذين قال إنهم لم يأتهم رسول ولانذير من قبله وأنه لا يلزمنا اتباعه لأننا نحن من أتانا رسل ممن قبله» [1].

الرد على هذه الشبهة:

فى البداية نسأل الذين أثاروا هذه الشبهة هل أنتم مصدقون بأن محمدًا رسول الله أو لا؟ فإن كانوا غير مصدقين نبدأ معهم من إثبات نبوته وقد تحدثنا عنها فى مبحث خاص، وإن كانوا مصدقين ولكن يدعون أن رسالة محمد ﷺ للعرب فقط نقول لهم: العقل، المنطق، ثم النقل والشرع يفرض عليهم أنهم ما داموا صدقوا قول الرسول فى دعوته الخاصة كما يزعمون فيجب عليهم تصديقه فى كل ما يخبر عنه؛ ومن الأمور التى أخبر عنها ودعا الناس إليها أنه رسول رب العالمين إلى الناس كافة.

يقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان :١] ، ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

هذه الآيات وغيرها الكثير أخبر محمد ﷺ من خلالها أنه رسول الله للناس كافة، إذا فالدليل الذى جعل أصحاب الشبهة السابقة يعتقدون فى نبوته هو نفسه الدليل الذى يلزمهم التصديق ببعثته ﷺ للناس كافة يقرر

---

(١) انظر هذه الشبهة مفصلة في الأجوبة الفاخرة ص ١١/ ١٢، والجواب الصحيح ج ١ ص ١٢٣ وعالمية الدعوة الإسلامية للعقاد ص ١٢٧/ ١٢٨ .

ذلك «الباقلانى» فى كتابه «الإنصاف» ويستدل على كونه مبعوثًا إلى كافة الخلق وأن شرعه ناسخ لما قبله من جميع الملل بثبوت نبوته وصدق مقاله وإخباره بجميع ذلك [(١)]:

فالمدار على ثبوت دعواه، فإذا صدق فيها وهو صادق فلا مجال لتصديق بعض أخباره دون بعض.

يقول «القرافي» في «الأجوبة الفاخرة»: «إذا كان النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة لا لقومه ولا لغيره فيقولون أوضحوا لنا صدق دعواكم ولا يقولون، كتابكم يقتضى بتخصيص الرسالة؛ وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم» [(٢)]، وهذا إلزام للنصارى وغيرهم ممن يعتقدون خصوصية الرسالة المحمدية.

ونفس الطريقة يسلكها شيخ الإسلام ابن تيمية فى رده على الرسالة القبرصية فهو يذكر أن النصارى إما أن يقروا برسالته إلى العرب أو لا يقروا؟ فإن أقروا بأنه رسول أرسله الله لا يمكن بعد ذلك تكذيبه، بل يجب الإقرار برسالته إلى جميع الخلق، وقد صرح بدعوة أهل الكتاب وبدعوة الجن فى غير موضع.

وإذا لم يقروا برسالته أصلا وقالوا ليس بنبى امتنع مع هذا أن يصدقوا بنبوة غيره فإن الطريق الذى يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمد ﷺ بطريق الأولى [(٣)].

---

(١) الإنصاف للباقلاني ص ٦٢ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٢/١٣ .

(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٤٤٠، جـ ٢ ص ٢٢ .

وهذا الطرح من جانب علماء الإسلام يقطع شبهات من يدعى أن محمدًا رسالته للعرب فقط. من الناحيتين العقلية، والنقلية، ومع أن هذا كاف فى الرد على بعض النصارى فى شبههم التى أثاروها إلا أننا سوف نتناول الآيات التى استدلوا بها لنبين الوجه الصحيح لتفسيرها وأنها لا تخدم زعمهم، فى قصر دعوته ﷺ على العرب دون غيرهم.

بالنسبة لآية سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] .

هذه الآية ليس فيها ما ذهب إليه بعض النصارى فى شبهتهم من أنها تدل على اختصاص الرسول ﷺ بقومه.

وإنما تدل على الآتى:

أولاً: أن النبى أمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ فى ذلك بمن هو أولى بالبدء ثم يليه؛ وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم.

كما فعل ﷺ حين وقف خطيبا فى حجة الوداع قال: «**ألا إن كل ربا موضوع وأول ما أضعه ربا عمى العباس**»، فبدأ بخاصة أهله ثم بعد ذلك بغيرهم.

ثانيًا: أن الرسول ﷺ أمره ربه أن لا يتعاطف مع ذوى قرابته وأن لا يحابيهم فى الإنذار والتخويف، ومن ثم بدأ بهم ثم ثنى بغيرهم كما ثبت عنه ﷺ حين صعد الصفا فبدأ بذوى قرابته أولاً [1].

ويضيف الرازى فهما آخر للآية إذ يقرر أن الله عز وجل توعد محمدًا ﷺ إن دعا مع الله إلها آخر، ثم أمره بدعوة الأقرب فالأقرب وذلك لأنه

(١) الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ١٢٩ .

إذا تشدد على نفسه أولاً ثم الأقرب فالأقرب ثانيًا لم يكن لأحد فيه طعن ألبتة وكان كلامه أجدى وقوله أقنع (١).

وعلى كل الوجوه فإن الآية، لا تدل على أنه لا ينذر غير عشيرته الأقربين ولا تنافى إطلاقًا ما فى القرآن من دعوة سائر الناس إلى الإسلام والتصديق به ﷺ فإن تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضى التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفه. وهذا الذى يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء :٣١] ، فإن الله نهاهم عن قتل أولادهم خشية الفقر لأنهم كانوا يفعلون ذلك وقد حرم فى موضع آخر قتل النفس بغير حق سواء كان ولدا أو غيره ولم يكن ذلك مناقضًا لتخصيص الولد بالذكر (٢).

أما قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة :٣] ، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس :٦] .

يقول «الرازى» عن الآية الأولى: الاستدلال بالآية على كون رسالة محمد ﷺ خاصة إلى قومه من العرب فقط فاسد لوجوه:

أولا: أن التخصيص لا يوجب نفى ما عداه.

الثانى: أن أهل الكتاب قد ضلوا ولم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ بعد ضلالهم، فلزم أن يكون محمد، مرسلا إلى الكل على درجة سواء.

ويذكر ابن تيمية توجيها لفهم الآية الثانية فيذكر أن قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا

(١) التفسير الكبير للرازي جـ ٢٤ ص ١٧٢ .
(٢) الجواب الصحيح ط ص ٣٧٩/ ٣٨٠ .

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس :٦] ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم بل لما كان الذى يتلقى الوحى أولاً هم العرب كان التنبيه عليهم بالمنة والهداية أولى وما زال العقلاء فى مخاطبتهم يتكلمون فيما يوجد سببه ويسكتون عما لا يتعين سببه وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقين واقعين، فكذلك الرسالة عامة، ولما كان المقصود إظهار فضل العرب على غيرهم خصوا بالذكر، وهذا من أساليب القرآن الكريم كما خاطب بنى إسرائيل، وحدهم فهل هذا معناه أن لا يخاطب غيرهم، وهذا لا يقول به عاقل فلا يغتر جاهل بأن ذكر زيد بالحكم يقتضى نفيه عن عمرو فإن ذلك فى غاية المكابرة والمعاندة، هؤلاء أعظم جهلا وعنادا ممن ينكر أنه كان يأمر بالطهارة، والغسل من الجنابة ويحرم الخمر والخنزير، وأعظم جهلا وعنادًا ممن يذكر ما تواتر من أمر المسيح وموسى عليهما السلام [1].

أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة :٢-٣] ، على خصوصية رسالة محمد ﷺ، إلى العرب فإنه احتجاج باطل لأنه لا يلزم تخصيص الشىء بالذكر نفى ما عداه، ولأنه لو كان رسولاً إلى العرب خاصة، لكان قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ :٢٨] لا يناسب ذلك ولا مجال لهذا لأنهم صدقوا محمد ﷺ. برسالته الخاصة فى زعمهم، فيكون قوله تعالى: ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ :٢٨] دليلا على أنه عليه الصلاة والسلام، كان رسولاً إلى العالمين.

(١) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٧٠، جـ ٢ ص ٤٠، ٤١ .

ثم إن تمام الآية يفيد عموم البعثة بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة :٣] عطف على الأميين، يعنى بعث فى آخرين منهم قال المفسرون: هم الأعاجم يعنون بهم غير العرب أى: طائفة كانت، كما قال ابن عباس وغيره (١).

ونسب القرطبى إلى ابن عمر وسعيد بن جبير أنهم العجم (٢).

وبعدها قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة :٥٤] أى: الفضل الذى أعطاه الله لمحمد وهو اختصاصه بعموم رسالته وهو أن يكون نبى أبناء عصره والعصور التى بعده (٣)، وهذا توجيه طيب فى فهم الآية واستنباط لعالمية الرسالة منها.

وأخيرًا فإن الآيات التى عرضناها وغيرها من التى يستدل بها النصارى زورا على زعمهم ليس لهم ولا لغيرهم حجة فى التمسك بها لأنه ليس فى القرآن آية واحدة تدل أو تشير إلى أن رسالة محمد ﷺ خاصة بالعرب وحدهم وإنما فيه إثبات رسالته إليهم وفيه إرساله إلى الناس جميعا وليس بين هذا تناقض، أى تناقض بين أن يوجه القرآن الخطاب إلى أهل الكتاب وبين أن يوجهه إلى بنى إسرائيل أو بنى آدم، فليس التخصيص فى توجيه الدعوة الإسلامية إلى العرب أو بنى إسرائيل مناف لعموم الرسالة إلى الثقلين جميعا (٤)، ومن العجب أن النصارى يتوقفون عند هذه الآيات

(١) انظر الرازي ص ٢٩ ص ٤/ ٥ .
(٢) القرطبي ص ٩٢٩/ ٩٣٩ .
(٣) الكشاف جـ ٤ ص ١٠٢/ ١٠٣ .
(٤) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٠٨ لمجموعة من العلماء وانظر الجواب الصحيح ص ٤٠/ ٤١/ ٤٢ .

ولا يذكرون غيرها من الآيات التى توجه الخطاب إلى الناس جميعا وتخاطب بنى آدم كلهم [(١)]، بل ويصرفونها عن معناها المتعارف عليه، إلى معنى آخر غير متعارف عليه وليس مقصودا فى الآية فيقول بعضهم إن المقصود بالناس فى هذه الآيات ناس بيئته ﷺ وليس جميع البشر.

ولكن هذا تمحل متهافت ولا سيما أن هناك آيات مكية فيها تنبيه على أن الرسالة المحمدية هى إنذار، وذكر للعالمين ورحمة لهم منذ العهد المكى [(٢)].

وكما **يقول الأستاذ العقاد**: فإذا كانت كلمة الناس تحتمل اللبس فى أذهان هؤلاء لسبب من أسباب التأويل فى اللغة أو فى المنطق فما هو اللبس فى وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الإسلام؟ إننا نذكر من وصف هؤلاء العباد فى الكتاب العربى مثلا وحدًا وهو قوله فى خطاب النبى بالعربية: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم :٣١-٣٢] ، فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخر لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر بباله أبدا أنهم أبناء

(١) على سبيل المثال سورة النساء الآية ١٧٤، الأعراف الآية ١٥٨، وإبراهيم ١ والحج ٤٩، وسورة سبأ الآية ٢٨ .

(٢) القرآن والمبشرون ص ٢٧٣ محمد عزة دروزة . وانظر الآيات المكية الدالة على كون الدعوة لجميع الناس سورة الأنعام الآية ٩٠، يوسف الآية ١٠٤، الأنبياء الآية ١٠٧، والفرقان الآية ١ - وهذه الآيات على سبيل المثال فقط . وإلا فإن سور القرآن الكريم المكية والمدنية مليئة بالآيات التي تتحدث عن عموم رسالته ﷺ وتكليفه بتبليغها للناس .

الجزيرة العربية دون غيرهم من بني الإنسان فى جميع البلدان [١]، أقول إذا كانت كلمة الناس من الممكن أن تصرف عن معناها إلى معنى آخر كما فعل بعض النصارى فماذا عساهم يفعلون فى كلمة عبادى على نحو ما ذكر الأستاد العقاد؟ ولكن يبدو أن هؤلاء وأشباههم لا ينقصهم الدليل بقدر ما يحتاجون إلى التخلص من الأهواء وحب الدنيا وإيثار منافعهم العاجلة على ما عند الله .

المطلب الثانى:

زعمهم أن الرسول ﷺ جاء بلسان عربى ولم يأت بلسانهم.

ادعى من يقول من النصارى بعدم عموم بعثته ﷺ بآيات من القرآن الكريم وزعموا أنها تدل على ما ذهبوا إليه من عدم مطالبتهم باتباع النبى ﷺ والدخول فى الإسلام.

من تلك الآيات التى استدلوا بها قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :٣] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم :٤] . وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى :٧] .

وبعد أن يستدلوا بهذه الآيات يقولون: «إن الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله» [٢] .

---

(١) الإسلام دعوة عالمية ص ١٣١ .

(٢) الجواب الصحيح جـ ١ ص ١٢٣ والأجوبة الفاخرة ص ١١، ١٢ .

والرد على هذه الشبهة يتمثل فى الآتى:

أولا: لله الحكمة البالغة والآيات الباهرة فى نزول القرآن الكريم بلسان عربى مبين، لتميز لسان العرب ولغتهم من سائر الألسن واللغات، بعزوبة اللسان ورطوبة اللفظ، وسهولة المخارج والتعبير عن المعنى الدائر فى الضمير بأوضح عبارة وأصح تفسير [١] ثم إن نزوله باللغة العربية إنعام من الله على عباده لأن اللسان العربى أكمل الألسنة وأحسنها بيانا للمعانى، ولأن القرآن نزل بين العرب فقد خوطبوا به أولا ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه، ثم من لم يعلم لغتهم ترجم له «أى معانيه» وكانت إقامة الحجة به على العرب والإنعام به عليهم أولا لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفها غيرهم [٢].

والدارس الخبير باللغات غير العربية لا يجد للشيء الواحد من الأسماء ما يعرف فى اللغة العربية ثم إن المعانى الكثيرة يعبر عنها بكلمات قليلة، وكذلك التصرف فى الاستعارات والإشارات ووجوه الاستعمالات البديعة ثم إن الله وصف القرآن بكونه عربيا فى معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم إلا إذا ثبت أن لغة العرب أفضل اللغات.

ثانيا: لا حجة للنصارى فى استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم :٤] .

لأن الأمر لا يخلو إما أن ينزل القرآن بجميع الألسنة أو بواحد منها؟

---

(١) نهاية الأقدام للشهرستاني ٤٤٧ .

(٢) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٩/ ٦٠ والتفسير الكبير للرازي جـ ٢٧ ص ٩٦/ ٩٧ والجواب الصحيح جـ ٢ ص ٦٩ .

ونزوله بجميع الألسنة مستحيل ولا حاجة إليه أصلاً لأن الترجمة تنوب عن ذلك بقى أن ينزل بلسان واحد وأولى الألسنة بالنزول بالقرآن هو اللسان العربى لأن محمدًا نزل فى قومه فإذا فهموه وصدقوا به قامت التراجم ببيانه وتفهمه كما نرى ونشاهد من كفاية الترجمة فى كل أمة من الأمم.

ثم إن الآية تحتمل وجهًا آخر وهو أن يكون المراد فيها أهل بلده، وليس المراد بها أهل دعوته لأن الأدلة قامت على عموم الرسالة [(١)].

ثالثًا: إن الاستدلال بهذه الآية على قصر الرسالة على العرب استدلال فاسد إذ كيف يريدون أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية كما هو شأن الإسلام؟ إن القائل بذلك يمنع أن توجد فى العالم دعوة عالمية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجمعين، ثم كيف يسوغ العقل أن يكون صاحب الدعوة خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قومه؟ وكما يقول العقاد: «**إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام فى سلامة المقصد قبل الاتهام فى سلامة التفكير**» [(٢)].

إن الأولى والأقرب إلى الفهم والعقل، والذى قدره الله، وفى الوقت نفسه يتفق مع طبيعة العمر البشرى المحدود أن يبلغ الرسول ﷺ قومه بلسانهم وأن تتم رسالته إلى البشر كافة عن طريق حملة هذه الرسالة إلى البلاد المختلفة. وبالفعل هذا ما حدث ومن ثم فلا تعارض بين رسالته

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١١/ ١٢، والرازي ص ١٩/ ٢٠ ص ٧٩/ ٨٠ وانظر حاشية المواقف جـ ٨ ص ٢٦١ للمولى حسن جلي.
(٢) الإسلام دعوة عالمية للعقاد ص ١٢٩/ ١٣٠/ ١٣١.

للناس كافة ورسالته بلسان قومه فى تقدير الله وواقع الحياة [١].

رابعًا: إن التوراة نزلت باللسان العبرانى والإنجيل الرومى، وقد انتقلت النصرانية من لغتها الأصلية إلى لغات أخرى لم يتكلم بها المسيح عليه السلام ولا يوجد اليوم من أبناء العالم من يقرأ حروفًا ونصوصًا سمعت من السيد المسيح عليه السلام [٢].

وعلى هذا فالنصارى كلهم مخطئون فى اتباعهم التوراة فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الروم اللسان العربى بطريق التعليم، وأن يكون القبط وأهل الحبشة وغيرهم ممن يدينون بالنصرانية مخطئون لاتباعهم أحكام التوراة والإنجيل لأنهما لم ينزلا بلغاتهم، ولكن الأمم كلها تتعلم من خلال الترجمة [٣].

والاحتجاج باختلاف اللغة بين الدين وبين من يدعو إليه حجة على النصارى لأن المنصرين يدعون شعوب العالم إلى النصرانية على الرغم من الاختلاف بين اللغة التى تكلم بها المسيح ولغة الذين يدعون إلى النصرانية.

ثم إن النصارى فيهم عرب كثير من زمن النبى ﷺ وكل من يفهم اللسان العربى أمكنه أن يفهم القرآن وإن كان أصل لسانه غير عربى، ثم إن النصارى الذين حاجوا علماء الإسلام، فيهم من ليس عربيا ومع ذلك فهموا آياته واحتجوا بها فكيف يسوغ لهم أن يقولوا كيف تقوم الحجة علينا بكتاب

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للراوي ص ١٣١، ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٠٨٧ .
(٢) ما يقال عن السلام للعقاد ص ١٤٨ .
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٢ .

لم نفهمه؟ وقد دخل كثير من العجم الإسلام وأجادوا لغته وألفوا بها كتبا فى العربية بل إن منهم من ينطق العربية أفضل من العرب [١]، وفى هذا حجة على الذين يقولون: إن القرآن لم ينزل بلغتنا.

خامسًا: أى غرابة فى أن يأتى القرآن الكريم باللغة العربية وتكون هذه اللغة هى لغة الإنسانية، إذ إنه لا يمكن أن يتم الاتحاد بين الناس، وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة، وهذ الأمنية حققها الإسلام بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة جميع المؤمنين به والخاضعين لشريعته إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة نبيه لفهمها والتعبد بها والاتحاد بإخوتهم فيها ولذلك كرر القرآن بيان كونه كتابا عربيا وحكما عربيا، ولا يظنن ظان أن توحيد لغة البشر خلاف الطبيعة البشرية لأن جمعهم على دين واحد أبعد من توحيد اللغة، ومع ذلك أمر الله الناس جميعًا أن يدخلوا فى دين الإسلام [٢].

ومن المثير للغرابة أن النظم الوضعية كالماركسية قبل سقوطها، يحاول دعاتها أن يعمموها فى العالم كله ونجد شعوبا تدين بالشيوعية ولم يقل أحد إن الشيوعية ليست بألسنتهم وكذلك النظم الوضعية المختلفة التى تدعو الناس إلى الأخذ بها وتطبيقها، على الرغم من اختلاف لغة المنشأ عن لغات الذين يأخذون بها ويطبقونها.

ولنا أن نقول: إن تعلم اللغة العربية لغير العرب داخل فى مفهوم

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٥٢/ ٥٣ .

(٢) الوحي المحمدي - ص ٢٦١/ ٢٦٢، والدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٦١ .

الاستطاعة وكثيرا ما يكلف الله الإنسان بأمر من الأمور فيه مشقة ولكنه مستطاع ومعظم التكاليف الشرعية داخلة فى هذا الباب فكف النفس عن الشهوات والأهواء فيه مشقة ولكنه مستطاع، وقل ذلك فى أركان الإسلام مثل الصيام، والصلاة والزكاة والحج، ففيه مشقة ولكن إذا استطاع الإنسان الحج فعليه أن يقوم به ولا يجوز لأحد الأصحاء القادرين أن يتعلل بالمشقة اللهم إلا إذا كان من ذوى الأعذار الشرعية، التى تسقط عنهم بعض الواجبات حتى يقدروا عليها.

المطلب الثالث:

زعمهم أن الرسول ﷺ لم ينشر العقيدة الإسلامية خارج الجزيرة العربية وأن الذين قاموا بهذا العمل هم خلفاء النبى:

يزعمون فى هذه الشبهة أن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية كان من فعل الخلفاء من بعد النبي ﷺ خاصة الخليفة الثانى: عمر بن الخطاب الذى يسمونه عمر المستعمر العربى، ويضيف بعض المستشرقين أن نشر العقيدة الإسلامية لغير العرب لم يكن داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية [١].

الرد على هذه الشبهة:

هذه فرية أخرى من مفتريات النصارى على الإسلام كدين خاتم وعلى الرسول ﷺ كمبعوث للعالمين، وإن ما يثير الغرابة حقا أن ينكر هؤلاء ما تواتر لدى الجميع من دعوة النبى ﷺ، الملوك والأمراء سواء فى داخل

(١) انظر هذه الشبهة عند العقاد الإسلام دعوة عالمية ص ١٢٧ وما بعدها وانظر مجلة الأزهر عدد يوليو ١٩٦١ وانظر هامش تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ للسير توماس أرنولد - وانظر رؤية إسلامية للاستشراق د/ أحمد غراب .

الجزيرة أو خارجها، والذى يهمنا فى الرد على هذه الشبهة هو خارج الجريرة العربية حيث كانت تعيش الأديان الأخرى كالنصرانية والمجوسية.

وبيان ذلك:

أن النبى ﷺ بعد صلح الحديبية مع مشركى مكة، واستتباب الأمن فى الداخل أرسل رسله إلى الملوك والأمراء من العرب ومن غيرهم.

١- بعث ﷺ الصحابى الجليل دحية الكلبى إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل، ونص رسالته ﷺ: «**من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن إثم الأريسين عليك**» و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ٦٤]» (١).

وكاد هرقل أن يسلم لولا أنه خاف من أتباعه فنكص على عقبيه ولم يؤمن وقد هلك، ودخل أتباعه فى صراع مع المسلمين انتهى بهزيمة أتباعه وفتح البلاد التى كانت تابعة للرومان مثل الشام ومصر.

٢ - وأرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى بكتاب إلى كسرى أبرويز ملك الفرس وفيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى آمن بالله ورسوله واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله فإنى أدعوك**

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١ باب: بدء الوحي، وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٩/ ٣٠، ونور اليقين للخضري ص ١٨٨ .

بدعاية الله فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، وإن أبيت فإن إثمَ المجوس عليك» فلما قرأ كتاب النبى شهق وقال: يكتب إلى بهذا الكتاب وهو عبدى، ولما بلغه عليه الصلاة والسلام ذلك قال: «مزق الله ملكه كل ممزق» [1]، وقد مزق الله ملكه، بأن سلط على كسرى ابنه فقتله واستجيبت دعوة رسول الله ﷺ.

٣ - وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى بكتاب إلى النجاشى ملك الحبشة ويذكر ابن حزم أنه غير النجاشى الذى كان يحكم الحبشة حين هاجر إليها المسلمون [2].

٤- وبعث ﷺ حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر من جهة قيصر، ونص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثم القبط. و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾» [3]، وقد دارت محاورة بين المقوقس وبين حاطب بن أبى بلتعة، انتهت بأن هادن المقوقس رسول الله وبعث له بهدايا وجاريتين؛ إحداهما: مارية القبطية التى تزوجها رسول الله ﷺ وولدت له ابنه إبراهيم.

يقول ابن حزم: «وأسلم سائر الملوك الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ،

---

(١) انظر الطبري جـ ٢ ص ٦٥٤/ ٦٥٥ . والخضري ص ١٩٢ .

(٢) جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي ص ٣٠ .

(٣) انظر الجواب الصحيح ط١ ص ٢٩١ في رسائل النبي ﷺ انظر فتح الباري والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ٧١٨ طبعة دار الغد العربي، وزاد المعاد جـ٣ ص ٦١/ ٦٢ ومن الكتب الحديثة فقه السيرة للغزالي ص ٣٨٥/ ٣٨٦، ونور اليقين للخضري ص ١٨٨/ ١٩٢ والرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٢٦/ ٣٤٧ والمنهج الحركي للسيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٥/ ٥٦ .

حاشا قيصر والمقوقس، وكسرى والنجاشى، وهو غير النجاشى الذى هاجر إليه أصحاب رسول الله، وأما قيصر «هرقل» فهم بالإسلام فغلبه قومه فلم يسلم، وأما المقوقس فقارب وهادن رسول الله ﷺ وأما كسرى فكان أقبح القوم ردا فمزق الله ملكه» (١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الملوك بالرغم من عدم إسلامهم، لم يتعاونوا على حرب الرسول ﷺ لأن الزمن كان زمن أنانية وتفكك وترف ونعومة فى العيش وغلبة الشهوات ولذلك آثروا مهادنة النبى ﷺ خوفًا على ملكهم على الرغم من معرفتهم بكونه النبى الخاتم المبعوث للعالمين (٢).

أفبعد هذه الدلائل كلها والحقائق الدامغة، المتواترة يدعى بعض النصارى أن محمدًا ﷺ لم يفكر فى نشر الدعوة خارج الجزيرة وإنما الذى نشرها خلفاؤه ونكرر مرة أخرى عبارة العقاد المصورة لهدى هؤلاء جميعًا يقول: «إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام فى سلامة القصد قبل الاتهام فى سلامة التفكير» (٣).

وقد أصاب العقاد فى عبارته البليغة تلك؛ لأن معظم الذين يثيرون تلك الشبهات، لا ينقصهم التفكير، وإنما الذى يحتاجونه بدايةً سلامة القصد والخروج عن دائرة التعصب الأعمى الذى يسد منافذ التفكير ويحول الإنسان إلى عبد لهواه.

---

(١) انظر جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٠ وخاتم النبيين لأبي زهرة ٩٨٩/ ٩٩١ .

(٢) ثورة الإسلام ص ١٠١٣ محمد لطفي جمعة مكتبة النهضة ١٩٥٩م .

(٣) الإسلام دعوة عالمية ص ١٢٧/ ١٢٨ .

أما المستشرقون «كموير»، و «بروكلمان» وغيرهم فقد كفانا مؤنة الرد عليهم أحد أبناء جنسهم، ودينهم وهو السير «توماس أرنولد» الذى يقول: لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب بل إن للعالم أجمع نصيبا فيها، ولما لم يكن هناك غير إله واحد كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة ولكى تكون هذه الدعوة عامة، وتحدث أثرها المنشود فى جميع الناس وفى جميع الشعوب نراها تتخذ صورة عملية فى الكتب التى قيل إن محمدًا ﷺ بعث بها فى السنة السادسة من الهجرة إلى عظماء ملوك ذلك العصر [١]، وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحًا وأشد صراحة على ما تردد ذكره فى القرآن من مطالبة الناس جميعًا بقبول الإسلام.

ثم يستعرض «أرنولد» الآيات التى تتحدث عن عالمية الدعوة وينتهى إلى أن الرسول ﷺ صرح بكل وضوح وجلاء أن الإسلام ليس مقصورا على الجنس العربى قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح، والغزو بزمن طويل ويؤيد دعوى عموم الرسالة والحق فى المطالبة بأن يستجيب لها جميع الناس أن الإسلام كان الدين السماوى الذى اختاره الله للجنس البشرى كافة ثم أوحى به إليهم من جديد على لسان محمد خاتم النبيين [٢].

ولعل كلام «أرنولد» فيه دحض لآراء وشبه هؤلاء المستشرقين الذين هم من أبعد الناس عن الموضوعية لأنهم حين بحثوا فى قضايا الإسلام لم

(١) انظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٤٨/ ٤٩/ ٥٠ .
(٢) انظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٤٨/ ٤٩/ ٥٠ .

يبحثوها من أجل حقائق الإسلام وإنما زاولوا مهنة البحث كلون من ألوان الفكر التاريخى، وهم قد لقنوا من قبل مبادئ وأفكارا خاصة عن الإسلام فهم يبذلون جهدا واسعًا لإقامة الأدلة على صحتها ،وعلى غير شعور منهم يخطئون الفهم والاستدلال ويحسبون أنهم على شىء [١].

نأتى إلى الجزئية المتعلقة بأن خلفاء النبى ﷺ هم الذين نشروا الدين خارج الجزيرة وأن عمر بن الخطاب بالذات هو الذى نشر الإسلام خارج إطار المدينة كما يزعمون، ولذلك يسمونه بالمستعمر.

وسوف نناقش هذه الجزئية فى النقاط التالية:

أولاً: قبل أن ينتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، دخل فى صراع مع نصارى الروم تمخض عن غزوتين. أولاهما: غزوة مؤتة وقد فصلت كتب السيرة والسنة أخبارها [٢].

ثانى هذه الغزوات غزوة تبوك سنة تسع للهجرة، فقد خرج المسلمون مع الرسول ﷺ فى تعبئة لم يخرجوا فى مثلها فانطلقوا صوب الشمال حيث تربض جيوش الروم فلما وصلوا إلى تبوك أحس الروم أن هذا الجيش أقوى مما يطيقون لقاءه فاختفوا داخل حدود الشام.

ومكث النبى ﷺ مع جيشه إزاء حدود الشام وقتا يسيرا ولم يفكروا فى اجتيازها لأنهم لم يخرجوا من المدينة مهاجمين [٣].

إذا فمنذ عهد الرسول ﷺ وهناك مناوشات بين النصارى من خارج

(١) صور استشراقية ص ٢٩/ ٣٠ د/ عبد الجليل شلبي - نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨م.
(٢) انظر فتح الباري ص ٧ ص ٥٨٣ باب غزوة مؤتة من أرض الشام.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٢ وانظر زاد المعاد جـ ٣ ص ٦/٥.

الجزيرة مع المسلمين وكون الفتوحات لم تتم إلا فى عهد الخلفاء وخاصة عمر بن الخطاب فهذا لا يعنى أن النبى ﷺ لم يفكر فى نشر الإسلام خارج الجزيرة.

ثانيًا: تسمية عمر بالمستعمر يبطله ما كان من أمره مع أهل الشام وفلسطين وما كان من فعل قواده مع النصارى فى البلاد المفتوحة، ولنستدل برجل من بنى جلدة النصارى يحدثنا عما فعله عمر وقواده مع النصارى وهل هذه الأفعال تدخل فى عداد أفعال المستعمرين الغاصبين أم الفاتحين المهتدين العادلين؟؟

يذكر السير «توماس أرنولد» أنه لما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن وعسكر أبو عبيدة فى فحل، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون: «**يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا**» [(١)].

وبعد أن صالح عمر النصارى فى فلسطين وأعطى لهم الأمن و الأمان، زار عمر الأماكن المقدسة يصحبه البطريق وبينما كان فى كنيسة القيامة وقد حان وقت الصلاة طلب البطريق من عمر أن يصلى هناك ولكنه اعتذر وهو يقول: إنه إن فعل ذلك فإن أتباعه قد يدعون فيما بعد أنه محل لعبادة المسلمين [(٢)]، هل هذا سلوك مستعمر أم سلوك خليفة عادل يتحسب لما يمكن أن يحدث بعد وفاته؟ وهو بعيد أن يصدر عن أصحابه ولكنه ورع عمر.

(١) انظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٧٣ .
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٧٥ .

ونموذج آخر ينقله السير «توماس أرنولد» حين يذكر عن حسن معاملة عمر لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ما أثر عنه - رضى الله عنه - أنه أمر أن يعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت، وهو لا ينسى الذميين حتى فى آخر وصاياه إذ عهد فيها إلى من يخلفه مما ينبغى القيام به فى هذا المنصب السامى فقال: «وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم وألا يكلفوا إلا طاقتهم» [١]، هذا فعل عمر رضى الله عنه مع الذين كانوا تحت ولايته من أهل الذمة.

فماذا فعل زعماء النصارى مع إخوانهم فى الدين بعد أن اختاروا مذهبًا يخالف مذهب الدولة الرومانية؟؟ إن الاضطهاد والتعذيب والإكراه على اعتناق مذهب الدولة كان هو السائد من قبل «هرقل» على رعايا دولته من بنى جلدته نقرأ نصا عند «أرنولد» يضع أيدينا على هذا الوضع المزرى، الذى عجل بترحاب رعايا الدولة الرومانية بالفاتحين من المسلمين يقول «أرنولد» والواقع أن الشعور الذى أثاره هذا الإمبراطور قد بلغ حدا من المرارة مبلغا يبرز الاعتقاد بأنه حتى السواد الأعظم من «الأرثوذكس» من رعايا الدولة البيزنطية الذين كانوا يقيمون فى البلاد المفتوحة فى عهد هذا الإمبراطور هم الذين رحبوا بالعرب وقد نظروا إلى الإمبراطور نظرة الكراهية باعتباره خارجا على الدين، وكانوا يخشون أن يأخذ فى اضطهادهم وإرغامهم على القول بوحدة مشيئة المسيح، ومن أجل هذا استقبلوا بالرضى بل بالحماسة هؤلاء السادة الجدد الذين وعدوهم بالتسامح الدينى وأظهروا رغبتهم فى تسوية مركزهم الدينى واستقلالهم القومى لو أنهم استطاعوا أن يخلصوا أنفسهم من الخطر العاجل الذى كان

(١) نفسه ص ٧٥ - وانظر طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٢٤٦ .

يحدق بهم [(١)].

وما يذكره «أرنولد» يعبر عن حقائق التاريخ وواقع الأمر لأن «الفتوحات» الإسلامية ما انتشرت هذا الانتشار الواسع إلا بفضل من الله ثم بالروح العالية التى كانت تدفع المسلمين لنشر دين الله، ثم عامل من أهم العوامل على الإطلاق، وهو رغبة شعوب تلك البلاد فى التخلص من حكامهم الرومان فضلا عن الفساد الذى كان يعيش فيه هؤلاء: مما عجل بانتصار المسلمين وهزيمة الدولة الرومانية.

وقد أورد ابن كثير فى البداية والنهاية حوارًا بين هرقل وبعض الروم المنهزمين يقول ابن كثير: حدثنا أبو إسماعيل الترمذى، حدثنا أبو معاوية عن عمرو بن إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فوق ناقة عند اللقاء فقال هرقل: وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم ويلكم؟ أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم؟ أليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: نحن أكثر منهم أضعافًا فى كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟

قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى، ونركب الحرام، وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض. قال: أنت صدقتنى [(٢)].

---

(١) انظر الدعوة إلى الإسلام ص ٧٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢١، ٢٢ .

هذه طبيعة الفتح الإسلامى فى عهد عمر، ومن بعده وأيضًا هذه طبيعة جيش الرومان كما صوره أحدهم لقائده . وهل يصح كلام من يزعم أن عمر كان مستعمرًا ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف :٥] .

وأخيرًا أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما عرضته من نقض دعوى عالمية النصرانية وإثبات عموم البعثة المحمدية سائلاً الله أن يعز دينه وأن ينصر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

* * *

المصادر والمراجع

أهم المراجع والمصادر

١- (القرآن الكريم).

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- العهدين القديم والجديد.

٥- تفسير العهد الجديد في مجلد واحد - دار الثقافة المسيحية.

٦- علم اللاهوت النظامي دار الثقافة المسيحية.

٧- قاموس الكتاب المقدس - دار الثقافة المسيحية.

- المهندس أحمد عبد الوهاب.

٨- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر دار وهبة.

٩- المسيح في مصادر العقائد المسيحية دار وهبة.

د/ أحمد غراب.

١٠- رؤية إسلامية للاستشراق - المنتدى الإسلامي لندن سنة ١٤١١هـ

أرنولد - السيرتوماس أرنولد.

١١- تاريخ الدعوة إلى الإسلام - ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن وآخرون مكتبة النهضة.

الآمدي - سيف الدين الآمدي.

١٢- غاية المرام في علم الكلام تحقيق حسن محمد عبد اللطيف - نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الأصفهاني - أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني .

١٣- مطالع الأنظار . شرح مطالع الأنوار للبيضاوي .

الأطير - حسني يوسف / الأطير .

١٤- عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية دار الأنصار ١٩٨٦ .

الألوسي - محمد شكري الألوسي .

١٥- تفسير روح المعاني . دار الطباعة المنيرية بالقاهرة .

الإيجي - عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي .

١٦- المواقف مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧م .

الباقلاني - أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني .

١٧- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به نشر مكتبة الخانجي ١٩٦٣ .

١٨- إعجاز القرآن - دار إحياء العلوم بيروت .

البغدادي - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي .

١٩- الفرق بين الفرق تحقيق محيي الدين عبد الحميد - الناشر - المكتبة العصرية .

٢٠- إنجيل برنابا - ترجمه من الإنجليزية الدكتور خليل سعادة - الناشر مطبعة صبيح .

٢١- تفسير البيضاوي - البيضاوي .

ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

الحراني .

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح تحقيق د/ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر وآخرين - دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

التفتازاني - العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني .

٢٣- شرح العقائد النسفية مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٩هـ.

الجويني - أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني .

٢٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد تحقيق د/ محمد يوسف موسى - مكتبة الخانجي للنشر .

٢٥- لمع الأدلة في قواعد أهل الملة تحقيق الدكتورة فوقية حسين المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ - جينبير - شارل جينبير .

٢٦- المسيحية نشأتها وتطورها - ترجمة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - دار المعارف .

ابن حجر - الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني .

٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري - مكتبة الرياض الحديثة .

ابن حزم - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري .

٢٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل - تحقيق الدكتور - عبد الرحمن عميرة د/ محمد إبراهيم نصر الناشر دار عكاظ سنة ١٩٨٢م .

٢٩- جوامع السيرة لابن حزم .

أبو حيان التوحيدي.

٣٠- البحر المحيط نشر دار الفكر بيروت.

الخزرجي _ أبو عبيدة الخزرجي.

٣١- بين الإسلام والمسيحية تحقيق الدكتور محمد عبد الغني شامة الناشر دار وهبة الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

الخضري - الشيخ محمد الخضري.

٣٢- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - تحقيق عدنان مولود المغربي مكتبة الغزالي.

دروزه - محمد عزة دروزه.

٣٣- القرآن والمبشرون - المكتب الإسلامي بيروت.

الرازي - الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي.

٣٤- التفسير الكبير. دار الكتب العلمية طهران.

رحمة الله الهندي.

٣٥- إظهار الحق - الناشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ١٩٩٤ تحقيق الدكتور محمد أحمد ملكاوي.

أبو زهرة - الشيخ محمد أبو زهرة.

٣٦- خاتم النبيين - دار الفكر.

الزمخشرى

٣٧- الكشاف - الناشر مصطفى البابى الحلبى ١٩٧١م.

الزوزنى - أبو عبد الله بن الحسين الزوزنى.

٣٨- شرح المعلقات السبع - المكتبة التجارية الكبرى.

أبو السعود.

٣٩- إرشاد العقل السليم - طباعة الجمعية الأزهرية المالاوية ١٩٢٨م.

سليمان الندوى.

٤٠- الرسالة المحمدية مكتبة الفتح دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ م.

٤١- سيد قطب.

في ظلال القرآن - دار الشروق.

٤٢- نحو مجتمع إسلامي - دار الشروق.

السنوسى - أبو عبد الله - السنوسى.

٤٣- شرح السنوسية الكبرى - تحقيق الدكتور عبد الفتاح بركة - دار القلم الكويت.

الشهرستانى - الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى.

٤٤- الملل والنحل بهامش الفصل نشر مكتبة السلام العالمية.

٤٥- نهاية الأقدام في علم الكلام - نشرة ألفرد جيوم - الطهطاوي - المستشار: محمد إسماعيل الطهطاوي.

٤٦- الميزان في مقارنة الأديان.

عبد الجبار - أبو الحسن عبد الجبار أحمد بن عبد الله.

٤٧- شرح الأصول الخمسة - تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - الناشر مكتبة وهبة.

د/ عبد الجليل شلبى.

٤٨- صور استشراقية - مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨ م.

عبد الله الترجمان.

٤٩- تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب تحقيق الدكتور عمر وفيق الداعوق دار البشائر الإسلامية.

العقاد - عباس محمود العقاد.

٥٠- الإسلام دعوة عالمية. دار الآداب بيروت.

٥١- مطلع النور - ضمن مجموعة العبقريات - دار الآداب بيروت.

ابن أبى العز - العلامة صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى.

٥٢- شرح الطحاوية تحقيق الشيخ أحمد شاكر.. الناشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء.

الغزالى - الإمام أبى حامد الغزالى.

٥٣- الاقتصاد في الاعتقاد - مكتبة الجندي.

الفراء - أبو يعلى الفراء.

٥٤- المعتمد في أصول الدين - تحقيق الدكتور وديع زيدان حداد دار المشرق بيروت.

٥٥- د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله.

اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام الطبعة الثانية. دار الوفاء

القاسمى - محمد جمال الدين القاسمى.

٥٦- محاسن التأويل دار الفكر بيروت.

القرافى - شهاب الدين أحمد بن إدريس المشهور بالقرافى.

٥٧- الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.

القرطبى - الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر فرج الأنصارى.

٥٨- تفسير الجامع لأحكام القرآن.

ابن قيم الجوزية.

٥٩- زاد المعاد - المكتبة التجارية ومطبعتها - القاهرة.

١٤٧ ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى.

٦٠- البداية والنهاية - الناشر دار الغد العربى.

المباركفورى.

٦١- الرحيق المختوم - دار الوفاء.

د/ محمد أحمد ملكاوى.

٦٢- بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص العهدين الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

مطابع الفرزدق التجارية.

محمد رشيد رضا.

٦٣- تفسير المنار - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٤- الوحى المحمدى المكتب الإسلامى بيروت الطبعة التاسعة .
الشيخ محمد الغزالى .

٦٥- فقه السيرة - دار الكتب الحديثة .
محمد لطفى جمعة .

٦٦- ثورة الإسلام مكتبة النهضة ١٩٥٩م .
المودودى - أبو الأعلى المودودى .

٦٧- مبادئ الإسلام مؤسسة الرسالة .
الندوى - العلامة أبو الحسن الندوى .

٦٨- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - دار الكتاب العربى بيروت .
الإمام النووي .

٦٩- الهارونى - أبو الحسين بن هارون الهارونى .

٧٠- إثبات نبوة محمد ﷺ تحقيق أحمد إبراهيم الحاج - المكتبة العلمية .
هيم ماكيبى .

٧١- بولس وتحريف المسيحية ترجمة - سميرة عزمى الزين منشورات المعهد الدولى للدراسات الإنسانية - بيروت .
وحيد الدين خان .

٧٢- الإسلام يتحدى - نشر المختار الإسلامى .
وليم إدى

٧٣- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الناشر مجمع كنائس الشرق الأدنى وليم باركلى.

٧٤- تفسير أعمال الرسل - دار الثقافة المسيحية.

د/ يحيى هاشم حسن فرغل.

٧٥- الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية الناشر دار الفكر العربى.

هناك بعض المصادر والمراجع اكتفينا بإيرادها في الهامش.

ا هـ

والحمد لله أولا وأخيرا الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

فهرس

فهرس الموضوعات

* * *